حول الاستشراق المعاصر :

تحقيق في الحال : هل تقع في العربية نفياً

د. نهاد الموسى
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - الجامعة الأردنية

موضوع البحث ، والباعث الى هذا التحقيق

أستأنف في هذه المقالة تحقيقا اضافيا في احدى المسائل التي هي محل نظر في الاستشراق المعاصر وقد ورد عليّ طائفة من هذه المسائل في مقابسات مع بعض أساتذة الاستشراق الالماني (1) .

ومدار المسألة التي اقيم عليها هذا التحقيق باب الحال من النحو العربي ، أما محورها الرئيس الخاص فموضع من مواضع ذلك الباب . وهذا الموضع مما أخبرني أحد الاساتذة (2) أنه يعمل عليه منذ سنوات ، لكنه ابتدرني منذ البدء بما يشبه التقرير الحاسم اننا نقول ، في العربية :

جاء (. . .) يبكي

جاء (. . .) يضحك

---

1) وذلك خلال شطر من اجازة التفرغ العلمي التي منحتني اياها الجامعة الاردنية للعام الجامعي 78 — 1979 . وهو شطر انفقته زائرا في جامعة ميونيخ وتوبنجن وارلنجين وبون . وكل واحدة من تلك المسائل موضوع جدير بأن يرجع فيه النظر من الجانب الفقهي . وكان بعض تلك المسائل محل تحفظ لدي منذ الخاطر الاول ، ولكني اشكر — بلا تحفظ — للاساتذة الذين اثاروها ولست أسميهم الا أن تكون المسألة محل النظر تستلزم العزو على وجه الامانة والتحري العلمي ، كما اشكر للجامعة الاردنية ولكل من أسهم في أن تتاح لي تلك الفرصة العلمية المفيدة .

2) هو الدكتور ا. دنتس (A. Denz) بحلقة الساميات من جامعة ميونيخ . وانا — هنا — احكي ما كان — هناك ، واحيل على تلك المقابسة التي كانت بيني وبينه في ميونيخ ، ايار 1979 ، وشهدتها المستشرقة الدكتورة أولركه موزل (Ulrike Mosel) ، وانطلق في التحقيق من حيث انتهت المقابسة يومئذ .

بيد اننا لا نقول :

جاء (...) لا يبكى

جاء (...) لا يضحك

وكانت هذه بعض الامثلة الفاقعة التى جاء بها فى تقرير المسالة على وجه التحكم والمفارقة ليبلغ اقصى حد ممكن فى ازجائها ازجاء القبول .

وقد دافعته عن هذا الاعتقاد بامثلة من وقوع الحال ، فى العربية ، منفية ، على وجه دلالى :

رجع (....) مسرورا

رجع (....) غير مسرور

او على وجه من النفى بلا :

جئت لا اعلم ..

او بليس :

جاء (...) ليس عليه من علائم المجاهدة شىء ،

او بلا نافية للخبر من جملة الحال الاسمية :

دخل المانيا وهو لا يعلم من امر الحياة فيها شيئا .

ولكنه استبعد امثلة (غير) من دائرة النفى ، واثكر المثال الاخير بما يشبه قطع الواثق أن هذه الصورة من نفى الحال (3) لا تقع فى العربية البتة !! واجمل موقفه من المسالة كلها بان وقوع الحال ، فى العربية ، منفية امر « نادر جدا » (4) . وكانما اقام على الاعتقاد بهذا الامر فهو يلتمس له تفسيرا .

وقد عقدت العزم منذ يومئذ على ان ارجع النظر فى هذه المسالة وان امعن فى تبينها والاستدلال عليها وراء ما اسعف به جواب الفجاءة الميدانى يومذاك ، الى غاية شافية او قريب من ذلك .

وكان مما بدا لى ان الرجل صدر فى موقفه من الجواز والمنع صدووا وصفيا ، اي انه صدر عن ان نفى الحال فى العربية لا يكون ، فاذا التمسناه فيها وجدناه نادرا جدا ، وهكذا طرح الامر على ان مسالة نفي الحال محل النظر تحتاج ابتداء الى ان يقام على وجودها الدليل . واذن يتعين ان يكون الحوار معه قائما على التحقيق فى وجود هذه الظاهرة فى العربية . فاذا استقام لنا ذلك بالادلة الكافية اصبح التماس التفسير لعدم ورود الحال منفية او لندرة ورودها منفية غير وارد اصلا .

مراجع التحقيق ومنهج البحث

واتخذت لهذا التحقيق ضربين من المراجع ، طائفة من كتب النحو ، وطائفة من النصوص .

واستوعبت كتب النحو امهات واصولا ككتاب سيبويه ، والمقتضب للمبرد ، والاصول لابن السراج ، والمفصل للزمخشري ، واوضح المسالك وشرح القطر وشرح الشذور والمغنى لابن هشام ، وشرح ابن عقيل ، وشرح الاشمونى ، وهمع الهوامع للسيوطى .. كما وسعت بعض كتب المحدثين كالنحو الوافى لعباس حسن ، ومذكرات فى قواعد اللغة العربية لسعيد الافغانى ، وفى النحو العربى لمهدي المخزومى ، استئناسا وملاحظة لاستمرار الظاهرة فى المعالجات النحوية المعاصرة .

واستوعبت عينة النصوص مجموعة من السور ، وجزءا من التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح ، ومجموعات من الشعر القديم هو الوحشيات ، واصلين من النثر العباسى هما البخلاء ومقامات البديع ، وامثلة متنوعة من فن القول فى المختارات السائرة للمقدسى ، كما استوعبت الوانا من الادب الحديث شعرا وقصة ومقالة ، ووسعت نماذج من الاستعمال اللغوي المعاصر على مستوى الصحافة اليومية ، والثقافية ، والدراسات التى تتناول المسائل العامة ، والادب المترجم .

وقد تعرض صور من الحال منفية فى اطر حديثة من صحافة وتآليف ، وهى ترتد فى الاصل الى نصوص قديمة من التراث كالسيرة وكتب الاوائل .

---

3) صورة الحال الواقعة جملة اسمية خبرها جملة فعلية منفية بلا .

4) او كما قال بالانجليزية حرفيا : very rare

كتابخانه ومركز اطلاع رسانى
بنياد دايرة المعارف اسلامى

وهذا التداخل مظهر من مظاهر تواصل القديم والحديث فى مادة العربية . ولم أتعلق بتصنيف زمانى حاد على هذا الصعيد ؛ لان ذلك يفضى الى تحكم وقسر يجافيان وضع العربية الخاص من هذه الجهة . انما تعلقت بأن هذه الصور ، وان ارتدت الى نصوص قديمة ، ما تزال تحيا فى هذا الاستعمال الجاري الذي يمثل مادة فى بناء السليقة العربية ، ونماذج فى تشكيل صورة العربية فى نفوس ابنائها ، ولهذا ترخصت فى رد النصوص الى مصادرها الاولى .

واتسعت فى الرقعة الزمانية للنصوص لم اقتصر بها على عصور الاحتجاج ، لاننى اذهب الى أن التركيب النحوي للعربية لا يكاد يختلف بين نصوص عصور الاحتجاج ونصوص الاعصر التالية (5) .

واذا عرض فى نصوص العينة ، عينة الاستعمال، ما نسبته محل شك ، كبعض ما يُتناقل لطارق بن زياد فى خطبته ، فلاضير ؛ لان ذلك يظل نصّاً يحتذي على منوال فصيح مقبول فى العربية ، ومثلا مما يحيا فى ألْسِنَة ابناء العربية وآذانهم ، ويسهم فى صياغة سلائقهم ، ويلقى لديهم قبولا من جهة أنهم لا ينكرون صحته فى مقاييس العربية اذا ورد عليهم فى بعض وجوه الاستعمال .

وقام منهج البحث ، بصورة اساسية ، على استخراج الادلة من كتب النحو وكتب النصوص . واجتهدت ، بقدر ، ان اسهم فى تشكيله بملاحظات بدت لي،صدرت فيها عن اصول وانظار متعارفة فى التحليل النحوي .

صورة المسالة فى كتب النحو

فاذا التمسنا بيان النحويين عن هذه المسالة وجدنا انها لم تكن محل انكار ابتداء ، كما انها لم تكن — عندهم — مشكلة يستهدفونها بمعالجة قاصدة مستقلة . على انه يتشكل لها فى كتبهم ، حين نستصفى ما فيها ، نسيج متكامل من غير وجه ، من قواعد صريحة يقررونها ، واحكام ضمنية يصدرون عنها .

فاذا تقرينا صورة المسالة فى كتبهم تكشفت لنا عن الملامح التالية :

— 1 —

تقع الحال مفردة منفية بـ « لا » ، ويغلب (6) — عند ذلك — تكريرها ، نحو : جاءني زيد لا راكباً ولا ماشياً ، ويندر افرادها (7) ، نحو :

جاءني زيد لا راكباً . وجعل بعضهم تكريرها لازما (8) وحمل افرادها على الضرورة (9) ، كما فى قوله :

تهرت العدى لا مستعينا بعصبة
ولكن بانواع الخدائع والمكر (10)

— 2 —

تقع حالا جملة لا النافية للجنس (11) ، فاذا وقعت مؤكدة لمضمون الجملة قبلها امتنعت فيها

---

5) انظر فى مؤنس بهذا : اللغة العربية بين الثبوت والتحول ، بحوليات الجامعة التونسية ، 1976 ، العدد 13 ، ص : 7 — 55 .
6) شرح الكافية 183/1 .
7) المرجع السابق 183/1 .
8) الهمع 148/1 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 461/1 (حاشية 3) .
9) الهمع 148/1 .
10) المرجع السابق 148/1 .
11) المرجع نفسه 246/1 وشرح الاشمونى 257/1 واوضح المسالك 104/2 ومذكرات فى قواعد اللغة العربية 153 والنحو الوافى 312/2 .

الواو (12) ، نحو « وهو الحق لا شك فيه » (13) ، و (ذلك الكتاب لا ريب فيه) (14) ، و (الله يحكم لا معقب لحكمه) (15) .

— 3 —

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية فعلها مضارع منفي بـ « لا » . وهذه القاعدة — عندهم — اصل مؤصل يصدرون عنه كالبدهيات المسلم بها المقررة ضمنا . وذلك انهم يذكرون — في سياق تفصيلي آخر — ان الحال تقع جملة فعلية منفية بـ « لا » ، ويكون رابطها الضمير حسب ، فلما وجد بعضهم انها تاتي رابطها الواو والضمير اوّلوا ذلك على اضمار مبتدأ تكون الجملة المنفية خبره .

« وقوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان ، بتخفيف النون ، ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ، .. أول على حذف المبتدأ اي ، وانتما لا تتبعان ، وانت لا تسأل ... » (16) .

— 4 —

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية فعلها مضارع منفي بـ « ما »، كقوله :

نصف النهار الماء غامره
ورفيقه بالغيب ما يدري (17)

— 5 —

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية فعلها مضارع منفي بـ « لم » ، نحو قوله :

ولولا جنان الليل ما آب عامر
الى جعفر سربالـه لم يمزق (18)

— 6 —

تقع الحال جملة منفية بـ « ليس » (19) كقولـه :

فما بال النجوم معلقات
بقلب الصب ليس لها براح (20)

ويكثر في هذه الحال ان يكون رابطها الواو والضمير (21) ، نحو قوله تعالى : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه » (22) ، ويقلّ ان يكون الواو — وحده — رابطا ، كما في قوله :

دهم الشتاء ولست أملك عدة (23)

---

12) شرح الاشموني 257/1 واوضح المسالك 104/2 .
13) المرجعان السابقان في الموضعين انفسهما .
14) البقرة 2 .
15) الرعد 41
16) الهمع 246/1 . فان قال قائل : هذا رأي نازع فيه بعض النحويين وخالف فيه الولد اباه (شرح الاشموني 257/1) وهو تحكم من عند النحويين ، قلنا : انما قررناه على هذا المستوى ، مستوى القول به ضمنا عند النحويين او عند بعضهم . اما استطلاعه في نصوص اللغة فآت فيما بعد . وجدير بالتذكرة ان هذا الموضع كان محل انكار قاطع عند دنتس Denz في محاورتي اياه بميونيخ ، أيار 1979 .
17) الجملة حال من الضمير في (نَصَفَ) على النصب ، نصب النهار ، او الضمير في (غامره) على الرفع ، رفع النهار ، شرح الاشموني 260/1 . والقول باعتبارها حالا من الضمير في فعلٌ محذوف وجوبا يتعلق به الجار والمجرور (بالغيب) بالخبر في جملة « ما يدري » واضح الرجحان على .
18) شرح الاشموني 258/1
19) شرح الكافية 194/1 والهمع 247/1
20) خزانة الادب 185/3
21) الهمع 246/1
22) البقرة 267
23) الهمع 246/1 . وواضح أن السيوطي التفت الى مبدأ الاحصاء — ولو على التقريب — في هذه الظاهرة .

— 7 —

تقع الحال جملة اسمية منفية بـ « مـا » ، نحـو :

فرابنـا مـا بيننـا مـن حاجـز (24)

— 8 —

تقع الحال — بلا خلاف — (25) جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ « لا » (26) ، رابطها الضمير، نحو : جاءنى زيد لا يركب غلامه (27) ، و (وما لنا لا نؤمن بالله) (28) ، و (ما لى لا ارى الهدهد) (29)، وقولـه :

ولـو ان قومـا لارتفـاع قبيلـة
دخلـوا السماء دخلتها لا احجب (30)

وما انشده ابن الاعرابـى :

وقائلـة مـا باله لا يزورها (31)

و (مالى لا أجـد جوابا ؟) (32) و (هو الحق لا يشك فيه أحد) (33) و (ما انتم لا تعلمون » (34).

وقد يكون رابطها الواو حسب ، نحو : جاءنـى زيد ولا يركب عمرو (35) ، وقد يكون رابطها الـواو والضمير ، نحو : جاءنى زيد ولا يركب غلامه (36) .

فاذا جاءت بالواو-اوثها بعضهم — كما تقدم — على اضمار مبتـدأ ، وذلك كقراءة ابن ذكـوان (فاستقيما ولا تتبعان) (37) ، وقوله تعالى : (ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) (38) ، وقوله :

اتـادوا من دمى وتوعدونـى
وكنت ولا ينهنهنـى الوعيد (39)

وقولـه :

اكسبته الـورق البيض أبـا
ولقـد كـان ولا يدعـى لاب (40)

---

24) الهمع 246/1 .
25) المغنـى 270
26) المفصل 29 وشرح الكافية 194/1 — 195 والمغنـى 270 ، وأوضح المسالك 104/2 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 466/1 وشرح الاشمونـى 258/1 .
27) شرح الكافية 194/1 .
28) شرح الاشمونى 257/1 والهمع 246/1
29)شرح الاشمونى 257/1 .
30) المرجع السابق فى الموضع السابق .
31) خزانة الادب 185/3
32) مذكرات فى قواعد اللغة العربية 153 .
33) النحو الوافى 312/2
34) المرجع السابق 313/2 .
35) شرح الكافية 194/1
36) المرجع السابق فى الموضع السابق ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 466/1
37) على أن النون مخففة وان (لا) نافية لا ناهية وانظر : شرح الاشمونى 257/1 .
38) الهمع 246/1 ، وتمام الآية (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيـم) ، البقـرة 119 .
39) شرح الاشمونى 257/1 .
40) المرجع السابق فى الموضع السابق .

— و —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ « مـا » (41) ، كقوله ،

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة (42)

وعند ذلك يكون رابطها الضمير ، وتمتنع فيها الواو (43) ، واجازه بعضهم ، نحو : جاء زيد وما يضحك (44) .

— 10 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ « لـم » (45) ، ويكون رابطها الضمير (46) ، نحو قوله تعالى : (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) (47) ، وقول زهير :

كأن فتات العِهْن فى كل منزل
نزلن به حَبَّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

أو الواو ، كقول عنترة :

ولقد خشيت بان اموت ولم يكن
للحرب دائرة على ابني ضمضم (48)

أو الواو والضمير جميعا (49) ، نحو قوله تعالى : (أو قال أوحي إليَّ ولم يوحَ اليه شيء) ، وقول النابغة :

ستط الفضيف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتّقتنا باليد (50)

— 11 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ « لمّا » ، رابطها الواو (51) ، نحو قوله تعالى : (أم حسبتم ان تتركوا ولمّا يعلم) (52) ، وقوله عز وجل : (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله) (53) .

— 12 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها ماض منفى بـ « مـا » ، ويكون رابطها الضمير (54) ، نحو : جاءني زيد ما ركب غلامُه ، وجاء زيد ما درى كيف جاء ، او الواو (55) ، نحو : جاءني زيد وما ركب عمرو ، وجاء زيد وما طلعت الشمس ، أو الواو والضمير معا (56) ، نحو : جاءني زيد وما ركب غلامه ، وجاء زيد وما قام أبوه .

---

41) شرح الكافية 194/1 — 195 وأوضح المسالك 104/2 وشرح الاشمونى 258/1 والهمع 247/1.
42) أوضح المسالك 104/2 .
43) المرجع السابق فى الموضع السابق وشرح الاشمونى 257/1 .
44) الهمع 247/1 .
45) شرح الكافية 194/1 — 195 والهمع 1/ 246
46) التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 466/1 « وزعم ابن خروف ان المضارع المنفى بلم لابد فيه من الواو كان ضميرا او لم يكن ورد بالسماع كالآية السابقة » الهمع 246/1 .
47) آل عمران 174 .
48) شرح الاشمونى 259/1 .
49) فى النحو العربى : قواعد وتطبيق ص : 111 — 112 .
50) شرح الاشمونى 259/1 .
51) شرح الاشمونى 259/1 والهمع 247/1 . قال ابن مالك : « لم اجده الا بالواو » . الهمع 247/1 .
52) التوبة 16 .
53) آل عمران 142 .
54) شرح الكافية 194/1 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 466/1 والهمع 247/1 .
55) المراجع الثلاثة السابقة فى المواضع المذكورة أعينها .
56) المراجع انفسها فى المواضع انفسها .

— 13 —

تقع الحال ، قياسا ، جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـــ « إنْ » . قال ابو حيان : لا احفظه من كلام العرب ، والقياس يقتضى جوازه ، نحو : جاء زيد إنْ يدري كيف الطريق ، قياسا على وقوعه خبـــرا فى حديث : فظلّ إنْ يدري كم صلّى (57) .

— 14 —

لا تقع الجملة المصدرة بـــ « لـــن » حالا (58)

ولم يفصّل النحويون القولَ فى وقوع الحـــال جملة اسمية خبرها منفىّ ، ولم يابهوا ان يقـــرروه تقريرا مباشرا ؛ كأنما يرون ذلك من تحصيـــل الحاصل . فقد اثبتوا ان الحال تقع جملة اسمية (59)، ولم يكن بهم حاجة الى تكرير القول فى الاتحاء التى يأتى عليها خبر الجملة الاسمية ، ومنها ان يأتـــى جملة فعلية فعلها مضارع منفى بلا ، فاذا كنا نقول فى خبر الجملة الاسمية : هم لا يشعرون ، أمكن لنا ان نقول فى الحال : نسـلّ العدو الى ديارهم وهم لا يشعرون وقد اسلفنا انهم ايقنوا بذلك وصدروا عنه .

وكثيرا ما حمل النحويون الحال على الخبر ، وقد تقدم بنا ان ابا حيان اجاز ان يقال : جاء زيد إنْ يدري كيف الطريق ، بتصدير جملة الحال بإن النافية، قياسا على وقوع الخبر جملةً مصدّرةً بها فى حديث : فظلّ إنْ يدري كم صلّى (60) . ويقررون انه « لشبه الحال بالخبر والنعت جـــاز ان تتعدد » (61) وان « الاصل فى الحال والخبر والصفة الإفراد ، ويقـــع الجملة موقع الحال ، كما تقع موقع الخبـــــر والصفة » (62) وأنه « متى كان فى الكلام فائدة فهو جائز فى الحال ، كما جاز فى الخبر » (63) . بل ان سيبويه كان يعبّر عن الحال بالخبر (64) .

ولكننا نجد للنحويين — مع ذلك — اشارات احصائية الى حجم بعض ظواهر الحال، وهى اشارات دالةعلى انهم احسوا بهذا البُعْد ، بُعْد الكمّ فى رصد الحـــال وضبط وجوهها . فمن ذلك انهم قرروا « ان مجـــيء الحال بعد (ما بال) اكثريّ ... وقد وردت بعده علـــى وجوه : منها . . . » مضارعيّة « منفيّة ، كما انشده ابـــن الاعرابـــى :

وقائلة ما بالـــه لا يزورهـــا (65)

وانه يندر افراد الحال بعد « لا » فى نحـــو : جاءنى زيد لا راكبا (66) ، وانه يكثر فى جملة الحال المصدرة بليس ان يكون رابطها الواو والضميـــر ، ويقلّ فيها ان يكون الرابط الواو وحدها (67) ، وان الاغلب فى المضارع المنفى بـــ « لا » الواقع حالا تجـــرُّدُه عن الواو (68) .

---

57) الهمع 247/1 .
58) المرجع السابق 246/1
59) انظر مثلا : المفصّل 29 .
60) الهمـــع 247/1
61) أوضح المسالك 96/2 .
62) التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 464/1
63) الاصول فى النحـــو 259/1 .
64) فى الكتاب (هارون) 49/2 : « هذا باب اجـــراء الصفة فيه على الاسم فى بعض المواضع احســـن وقد يستوي فيه اجراء الصفة على الاسم وان تجعله خبرا فتنصبه » . فاما ما استويا فيه فقوله : مررت برجل معه صَقْرٌ صائدٍ به ، إن جعلته وصفا ، وإن لم تحمله على الرجل وحملتَه علـــى الاسم المضمَر المعروف نصبتَه فقلت : مررت برجل معه صقرٌ صائداً به . . . » .
65) خزانة الادب 185/3 .
66) شرح الكافية 183/1 .
67) الهمـــع 246/1
68) المرجع السابق 195/1 .

النفي الدلالي ومسألة « غير » في الحال

واستفتح مناقشتي لوقوع غير حالا واستدلالي على أن ذلك وجه من النفي بالإلماع الى وقوع الحال نفيا في الدلالة المفهومة منها (جاء منقبضا) أو من لفظ الخبر فيها حين يكون جملة اسمية (توليتم . . . وأنتم معرضون) . وقد يظهر ان القول في هذا الوجه من وجوه الحال حشو ، لان كل لفظ ذي دلالة يقابل على الضد المستفاد من النفي لفظا آخر ذا دلالة ، بالضرورة . فاذا قلنا :

خرج (. . .) يائسا ، فان (يائسا) ، لا ريب ، قسيم (آملا) ، وهي تشتمل على نفيها . واذا قلنا : خرج (. . .) آملا ، كانت (آملا) — في دلالتها — نفي (يائسا) ، وهذا تحصيل حاصل مفروغ منه ببداهة العقل وعفو السليقة .

ولسنا نتمسك ، كذلك ، بأمثلة الحال التي يقع النفي الدلالي فيها على وجه مخالفة الاصل الغالب في حقيقة الظاهرة في الحياة ، كما في قوله تعالى : (ثم توليتم . . . . وأنتم معرضون) (69) ، وقوله عز وجل: (تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم)(70) ، وقوله عز شأنه (وماتوا وهم كفار) (71) ، باعتبار الاصل في الفطرة وسنن الحياة : الاقبال ، والتحليل ، والايمان ، واعتبار (الاعراض ، والتحريم ، والكفر) فروعا ينتقض بها الاصل .

ولكن هذه المسألة التي تُغري بها معطيات عقائد ثقافية خاصة قد لا يستقيم فيها التسلسل على هذا النحو عند اعتبارها في سياق ثقافات اخرى .

أما وقوع (غير) حالا — وهو من الشيوع بالمكان المتعارف غير المذكور شهرة(72) — فيفارق النفي الدلالي المتقدم بصورة أساسية ، ويتجاوز الافتراق ما يستفاد بـ « غير » على مستوى الدلالة ، الى وجوه استعمالها على مستوى التركيب في النحو .

أما ما يستفاد بها على مستوى الدلالة فمعروف. واذا تمسكنا بأنها تقابل الاثبات في مثل قوله تعالى : (. . . والرمان مشتبها وغير متشابه) (73) ، و (والرمان متشابها وغير متشابه) (74) ، وقول محمود شاكر : « . . . فالآن ، مريدا أو غير مريد ، يجد نفسه لسانا ناطقا في « دولة الخدم » » (75) ، وهذا باب مستفيض ، فان الفاظ الاضداد — على مستوى الدلالة — تتقابل كذلك . ومن تقابلها في الحال قول محمود شاكر : « صرحت بذكر اسمه مطيعا لما يرضيني ، عاصيا لما يرضيه » (76) . ولعل هذا هو الحد الذي لحظه وتوقف عنده من اخرج (غير) أن تكون دليلا في وقوع الحال نفيا .

لكنني أجد في استعمال (غير) حالا دليلا من النحو تفارق عنده الفاظ الاضداد مفارقة حاسمة . وذلك انه يكثر في استعمالها حالا أن يُعطف على مخفوضها بالواو و « لا » . ومن امثلة ذلك :

في التنزيل : (فَمَنِ اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ) (77) ، (اذا آتيتموهنّ اجورهنّ محصنين غير مسافحين ولا

---

69) البقرة 83 .
70) البقرة 85 .
71) البقرة 160
72) انظر في طائفة من استعمالاته في شطر من نص واحد : زقاق المدق 147 — 154 — 158 — 164 — 204 — 218 .
73) الانعام 99
74) الانعام 141 .
75) المتنبي 79/1 .
76) المتنبي 8/1
77) البقرة 172

متخذى اخـذان) (78) .

وفى التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح : (.... فاذا سجد وضـع يديه غير مفتـرش ولا قابضهـا) (79) .

وفى لاميـة العجـم :

فاصبـر لها غيـر محتال ولا ضجـر
فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل(80)

وفى المتنبى لمحمود شاكر (الا ان عجزي انا من مواجهته بلسانى غير متهيب ولامتادب ، كان يهـدم نفسى هدما) (81) ، وفيه ايضا :

(وخرجت غير مودع ولا مبال بشىء) (82) .

وبيّنٌ ان واو العطف على مجرور (غير) قـد اقترنت بـ (لا) ، وهذا انما يكون اذا سبقـت (الواو) بنفى » (83) ، وعلى هذا فسر النحويون اقتران الواو الماطفة بلا النافية فى قوله تعالى : (ولا الضالين) بانه يرجع على قوله عز وجل (غيـر المغضوب عليهم) وبان « فى غير معنى النفى » (84).

وقد اصبح مَلْحَظ النفى فى (غير) منطلقا فـى التاويل النحوي تتوضح به وجوه مؤسسة فى النفى كالنفى بلا . ومن ذلك ان عباس حسن مثّل لجملـة الحال حين تكون مضارعية مسبوقة بحرف النفى «لا»، بهذا المثال : ما انتم لا تعلمون ؟ ، وعلق على المثال قائلا : « مثل هذا التركيب يتضح ويزول ما قد يكـون فيه من غموض اذا عرفنا أن « لا » النافية تقـدر فيه بكلمة : « غير » المنصوبة على الحال المضافة، وأن المضارع بعدها يقدر باسم فاعل ، هو : « المضاف اليه » ، اي : ما انتم غيرَ عاملين ؟ اي : ما انتم ومـا امركم فى الحالة التى لا تعملون فيها ؟ وهو مثل الآية الكريمة : (وما لنا لا نؤمن بالله ...) التقدير : ما لنا غير مؤمنين ؟ ما امرنا وما شاننا فى الحالة التى نكون فيها غير مؤمنين ؟ » (85) .

وهذا الدليل المتقدم من اقتران « لا » النافية بالواو فى سياق (غير) يفضى بنا الى ظن قوي أن (غير) تجاوزت مستوى النفى دلالة الى مستوى من النفى قريب من وسائله فى حيز النحو وذلك انه اذا قال قائل ان النحويين كثيرا ما يحملون على المعنى فى احكامهم ، قلنا ان لغير امتيازا خـاصا على هـذا الصعيد . فنحن نستطيع أن نقول :

نفّذ خطّته غير مطيع للاوامر ولا آبـهٍ بها

ولكننا لا نستطيع أن نقول :

نفّذ خطّته عاصيا للأوامـر ولا آبهًا بهـا

فَنَقْرِن الواو بلا فى سياق (غير) ولا نقرنهـا بها فى سياق لفظ دلالته مساوية لغير ومجرورهـا. ويضيق المقام عن الامثلة توضع استدلالا على هذه المسألـة .

وجـوه الحـال المنفية فى النصوص

ويستوي للحال المنفية ، خلاف غير ، علـى صعيد النصوص ، وضع ظاهرة نحوية قائمة تتخـذ وجوها وانحاء متنوعة ، تتفاوت فى درجة شيوعهـا وامتدادها . وتتكشف العينة المستقرآة من نصوص العربية عن الوجوه التالية فى استعمال الحال نفيا . ولعله يسوّغ لنا ما نستقصى من عرض شواهد كـل

---

78) المائدة 5 وانظر فى استعمال آخـر مطابق : النساء 25 .
79) 67/1 .
80) المختـارات السائرة 109 .
81) 24/1 .
82) المرجع السابق 23/1 وانظر فى مثال آخر مماثل : المرجع نفسه 26/1 .
83) المغنـى 392 — 393 .
84) المصدر السابق فى الموضع السابق
85) النحو الوافى 313/2 حاشية 2 .

وجه وامثلته ان غاية البحث الرئيسة هى الاستدلال على وجود الظاهرة فى العربية بتواتر يخرجها من حد الندرة الى باب الكثرة !

— 1 —

تقع الحال مفردة منفية بـ « لا » .
ومن ذلك :

— قول محمود شاكر : « وفارقها الى الشام لا علويا يطالب باظهار نسبه فحسب ، بل فتى عربيا ثائرا منكرا للذي رآه فى بغداد .. » (86) .

— وقول فدوى طوقان :

لقيته لا حلما انما
حقيقة ساطعة باهرة (87)

— وقول شوقى :

ذرونى وشأنى والوغى لا مباليا
الى الموت امشى ام الى الموت اركب(88)

— وقول نجيب محفوظ :

« .. يخرج من شدته ببعض المال .. لا صفر اليدين » (89) .

— وقول قائل معاصر فى احدى المسائل العامة : « ... انه اعتداء على انسانية الانسان من حيث هو انسان ومحو خصائصه الذاتية التى بها يعيش انسانا لا حيوانا ياكل ويشرب فحسب » (90).

ولا ريب أن هذه امثلة حال مفردة منفية بتطع النظر عن اقتضائها تعقيبا يكون به تمام الافادة كما فى المثالين الاولين ، أو وقوعها عبارة نمطية كما فى بيت شوقى ، أو وقوعها ثانية معطوفة بلا النافية كما فى المثالين الاخيرين .

ولا ريب أن وقوع الحال مفردة منفية ما يزال يدخل فى حد الندرة.فهل يكونون استغنوا بـ (غير) عن (لا) فى الحال المفردة ؟ ذلك اننا اذا احتكمنا الى الشكل قلنا ان الحال المفردة تقع منفية بـ (لا) ، سيّان فى ذلك افرادها وتكريرها . فاذا تحفظ متحفظ بانه حين تتكرر (لا) يتحصل معنى خاص لا هو نفى الاول ولا هو نفى الثانى ، انما هو بين بين ، قلنا : لعل (غير) اذن قد افادت معنى النفى فى الحال المفردة فاستغنوا بها عن (لا) .

— 2 —

تأتى جملة لا النافية للجنس حالا ، ويكون رابطها الضمير وحده ، ملفوظا او مقدرا .

ومن ذلك :

— قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (91) .

— وقول الجاحظ : « ... ثم لا يزال احدهم يسلّ من الخيط القطعة بعد القطعة ، حتى يبقى الحبل لا شىء فيه » (92)

---

86) المتنبى 88/1 .
87) وجدتها 106 .
88) المختارات السائرة 63 . وواضح ان هذا فى تاويل : لا مباليا كيف اموت ، او : لا مباليا متى اموت. وواضح ان ما قد يذهب اليه ذاهب من ان (لا مباليا) مفعول ثان لـ (ذر) غير حاسم . والحالية فيها — على كل حال — وجه . وهو — عندي — ارجح من المفعول الثانى .
89) زقاق المدق 56 .
90) أجيال التربية والتعليم فى الاراضى المحتلة ص ، هـ
91) البقرة 2
92) البخلاء 23
93) نقدات عابر ص 51 . مع التجاوز عن الضرورة فى (دربة) اذ يقتضى الوزن تنوينها ، وعن مستوى التعبير جملة ، وواضح أن الضمير مقدر فى خبر (لا) المحذوف .

— وقول أديب الخوري الشرتونـي :

ولـدت عريانا عديـم القـوى
لا دربة ، لا عقـل بالمرة (93)

— وقول فدوى طوقـان :

دَعْنـي
سأبقى هكـذا
لا نـور
لا غـد
لا رجـاء (94)

— وقول إميل حبيبي : « فما بالي اظل قاعدا على هذا الخازوق ، تحزمني البردية ثم تنشرني لا ستر ولا ظهر ولا انيس .... ؟ » (95) .

— 3 —

تاتي جملة لا النافية للجنس حالا . ويكون من رابطها الواو (96) ،

ومن ذلك :

— قـول حافـظ :

فلـم نزل وصـروفُ الدهر ترمقنـا
شزرا وتخدعنـا الدنيـا وتلهينـا
حتى غدونا ولا جاهٌ (97) ولا نسـبٌ
ولا صديقٌ ولا خِـلٌ يواسينـا (98)

— وقول احمد امين : « ويبكي الاطلال ولا اطلال، ويحنّ الى سلع ولا سلع ، ويستطيب الخزامـى والعرار ولا خزامى لدينا ولا عرار » (99) .

— وقول نجيب محفوظ : « . . . فانقلبـت (حميدة) ولا همّ لها إلا الإستئثار به » (100) .

— وقول فدوى طوقـان :

وبقيت التمس العـزاء
من الشقـاء
ولا مفـر (101)

فاذا قام في نفس احد ان الواو تمتنع في جملة لا النافية للجنس عند النحويين قلنا : هذا انما يكون عندهم في الحال المؤكدة لمضمـون الجملة قبلها . وليست الامثلة المتقدمة امثلة حال مؤكدة . وكـان النحويين لم يعنوا بتقرير هذه المسالة اي وقوع لا النافية للجنس حالا مبينة يكون رابطها الواو ؛ لانهم يرون ذلك مفهوما ضمنا او يعتدونه تحصيل حاصل .

— 4 —

تاتي الحال جملة اسمية منفية بما ، رابطهـا الواو والضمير ، او الواو حسب ومن ذلك :

— قوله تعالى : (. . . اولئك لهم عذاب اليـم وما لهم من ناصرين) (102) .

— وقوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنـا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) (103) .

— وقول المرّار الفقعسيّ :

---

94) وجدتها ص 129 والضمير مقدر في خبر « لا » المحذوف ؛ وانظر مثالا آخر فيه ص 148 — 149 .
95) الوقائع الغريبة ص 153 ؛ والضمير مقدر في خبر « لا » المحـذوف .
96) وهي واو الحال او واو الابتداء ، وآيتها صحة وقوع « إذ » موقعها ؛ كتـاب سيبويه 90/1 والمقتضب 66/2 ، 263/3 ، 125/4 والهمع 247/1 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 464/1 وشرح الاشموني 258/1 وامالي ابن الشجري 277/2 .
97) واضح انها « لا » النافية للجنس الغيت ضرورة
98) المختارات السائرة ص 112 .
99) فيض الخاطر 9/10
100) زقاق المدق ص 213
101) وجدتهـا ص 135
102) آل عمران 91 . وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 150/1 — 151 .
103) البقـرة 8

يُعيـــزُّ الدليـــلُ بهـــا خِيفـــة
وَما بكآبتِـــهِ مـــن خفـــاء (104)

— وقـــول ابـــى فراس :
أسِرْتُ وما صحبى بعزل لدى الوغى
ولا فرسي مهر ولا ربّه غمـــر (105)

— وقـــول المتنبـــى :
وقفـــت وما فى المـــوت شك لواقـــف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم (106)

— وقول أنيس المقدســـى :
حتّـــام نَرْتَـــع فـــوق آثـــار هَفَـــتْ
والدهر يدعونا الـــى نِعْمَ الغـــــد
مترقّبين ومـــا لنـــا مـــن حافـــزٍ
متسكّعين وما لنـــا من مُرْشِد (107)

— وقول فـــدوى طوقـــان :
واجري واجري ومـــا فى يـــدي
ســـوى الوهـــم شـــىء (108)

— وقول الطيب صالح : « سألته وأنا على تلك الحالة ، وما بى حاجة الى سؤال : « انت شيطان أم إنسان ؟ » (109) .

— 5 —

تتبع الحال جملة اسمية خبرها جملة لا النافيـة للجنس ، ومن ذلـك :

— قول طارق بن زياد (!) : « وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، واسحلته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات الا ما تستخلصون من أيدى عدوكم » (110) .

— 6 —

تتبع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعليـــة منفية بـــ « لـــم » ، ومن ذلـــك :

— قول حافظ ابراهيم :
القـــى القيـــادَ الـــى الجـــرّاح ممتثلا
وعزّة النفس لم تُجْرَح حواشيها (111)

— وقول اميل حبيبى : « قلت فى نفسى : اذا استطاعوا ذلك فكيف لا استطيعه وســـرّي لم يجاوز الاثنين ؛ باقية وانا ؟ » (112)

— 7 —

تتبع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية فعلها ماض منفى بـــ « مـــا » .
ومن ذلـــك :

— قـــول شوقـــى :
سيقضـــى (كـــرزُنْ) بالامـــر عنّـــا
وحاجات (الكنانة) ما قُضِينا (113)

— 8 —

تتبع الحال ، على كثرة ، جملة اسمية خبرهـــا جملة فعلية منفيـــة بـــ « لا » .

---

104) الوحشيـــات ص 53 .
105) المختارات السائرة ص 104
106) المختارات السائرة ص 61 ، ولعله قام مقام الضمير ، رابطا ، ذكر « واقف » ، اذ ترتد الى فاعل « وقفـــت » .
107) المرجع السابق ص 163 .
108) وجدتها ص 144 وانظر مثالين آخرين فى المرجع نفسه 143 ، 145 .
109) بندرْ شاه ضو البيت ص 102 .
110) المختارات السائرة ص 257 .
111) المختارات السائرة ص 66 .
112) الوقائع الغريبة ص 114
113) المختارات السائرة ص 168

ومن ذلك :

- قوله تعالى :
(يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) (114)
- وقوله تعالى : (. . ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (115) .
- وقوله تعالى : (. . فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) (116) .
- وقوله تعالى : (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) (117) .
- وقوله تعالى : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) (118) .
- وقول البديع : « فوليت ظهري الارض ، وعيناي لا يملكهما غمض » (119) .
- وقول المعري : « . . فلم ازل اتتبع الاوزان التى يمكن ان يوسم بها رضوان حتى افنيتها وانا لا اجد عنده مغوثة ... » (120)
- وقول انيس المقدسى : « وما الجامعات والكليات التى تملأنا بروح الاحتقار لما هو فينا الا سم ناقع يجري في عروقنا ونحن لا نشعر . . . » (121) .
- وقول مارون عبود : « أما سيد المجددين فى نظري فهو عزرائيل ، انه يجدد الناس غصبا عن رقبتهم ؛ ولعله شاعر اكبر ونحن لا ندري » (122) .
- وقول نجيب محفوظ : « ووشى وجهها بابتسامة وهى لا تدري » (123) .
- وقول الماوردي : « . . وكذلك الدنيا تودعك وتهرب عنك وانت غافل لا تخبر وذاهل لا تشعر » (124) .
- وقول الطيب صالح : «أما ان نزوجه ابنتنا ونحن لا نعلم عنه لا قليلا ولا كثير (125) . . » (126) .
- وقول تشيخوف مترجما : « ... خرجت الى ردهة المدخل وانا لا افكر فى شىء » . (127)
- وقول صحافى يستظهر نصا من السيرة : « . . فاسلم (نعيم من مسعود) وقومه لا يعلمون » (128) .

---

114) البقرة 272 . وانظر فى اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 115/1 .
115) البقرة 281
116) الشعراء 202
117) النمل 18
118) النمل 50 . ومن نظائر هذا فى التنزيل : القصص 8 ، 9 ، 11 والحجرات 2 ، والاعراف 95 ويوسف 15 ، 107 ، والزمر 55 ، والزخرف66 والعنكبوت 53 ، وآل عمران 25 ، 161 .
119) شرح مقامات بديع الزمان ص 49
120) المختارات السائرة ص 219 .
121) المختارات السائرة ص 276 .
122) نقدات عابر ص 9 وانظر مثالا آخر ص 33
123) زقاق المدق ص 152 وانظر نظائر له ص 155 ، 157 ، 189 ، 218 ، 236 ، 179 ، 215 ، 216، 230 ، 31 ، 80 ، 91 ، 113 ، 41 ، 42 ، 43 ، 111 ، 72 ، 91 ، 132 ، 60 .
124) أسس التقدم (عن ادب الدنيا والدين) ص69 .
125) كذا ! ولعله وقف على المنوّن المنصوب بلا الف على لغة ربيعة .
126) بندر شاه ضو البيت ص 117 ، وانظر مثله فى المرجع نفسه ص97 ، 47 .
127) السيدة صاحبة الكلب ص 196 ، وانظر مثالين آخرين فيه ص 268 ، 273 .
128) جريدة الدستور ، العدد 4314 .

— 9 —

تقع الحال جملة منفية بـ « ليس » ، ويكون رابطها الضمير حسب .

ومن ذلك :

— فى التنزيل : (.. ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت ..) (129) .

— وفى الحديث : (.. فانطلقنا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة) (130) .

— وفيه أيضا : (.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلى احدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه شىء) (131) .

— وفيه كذلك : (هل تُمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا، يا رسول الله ، قال : فهل تُمارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ ..) (132)

— وفيه خامسا : (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْم) 133 .

— ولابى العتاهية :

وانك يا زمان لذو صروف
وانك يا زمان لذو انقلاب
فما لى لست احلب منك شطرا
فاحمد منك عاقبة الحلاب (134)

— وللجاحظ : « .. فاذا أبردنا تفرقنا ، والا فهو الموت ليس دونه شىء » (135) .

— ولالياس فياض :

فاقام الايام فى خير ما
يرغب فيه من نعمة ورخاء
ليس (136) يدري المضيف من هو
ولم يسأله عن ذاك، عادة الكرماء(137)

— 10 —

تقع الحال جملة منفية بـ « ليس » ، ويكون رابطها الواو والضمير جميعا ،

ومن ذلك :

— قول جابر بن عبد الله : « أَهَلَّ النبى صلى الله عليه وسلم هو واصحابه بالحج وليس مع احد منهم هَدْيٌ غيرَ النبى صلى الله عليه وسلم وطلحة .. » (138) .

— وقول ابى الخطّار الكلبىّ :

وقيناكم حَرَّ القنا بنفوسنا
وليس لكم خيل سوانا ولا رَجْلُ(139)

— وقول ابى تمام :

وما كان الا مال من قَلَّ مالُه
وذخرا لمن امسى وليس له ذُخْرُ(140)

---

129) النساء 176 .
130) التجريد الصريح 21/1 .
131) المصدر السابق 37/1 .
132) المصدر نفسه 65/1
133) المصدر نفسه 102/1
134) المختارات السائرة ص 177 ، 178 .
135) البخلاء ص 38 .
136) معروف ان للنحويين فى (ليس) هنا مذهبين: الاول ان تكون على حالها فى نفى الحال والدخول على الجملة الاسمية واذن يكون اسمها ضمير شأن مخذوفا والثانى ان تكون نافية حسب ، تقوم مقام لا.
137) المختارات السائرة ص 197 .
138) التجريد الصريح 111/1 .
139) الوحشيات 42 .
140) المختارات السائرة 76 .

— وعن الاغـــانـــي :
« .. قال : فمتى كنت في هذه المدينة ؟
قلت : دخلتها آنفا وليس لي بها منـــزل ولا معرفة وليست صناعتي من الصنائع التي يُعَت بها الى أهل الخير » (141) .

— وعن الماوردي : « يتبهرج بالصلحاء وليـــس منهم » (142) .

— 11 —

تقع الحال جملة فعلية منفية بلا ، رابطهـــا الضمير بلا واو . وهذا اوسع وجوهها دورانا واكثرها تواتـــرا .

ونجتزيء بايراد بعض الامثلة ، وندل علـــى مواضع سائرها في الحواشي .

— في التنزيل : (وما لكم لا تقاتلـون في سبيـــل الله ؟) (143) .

— (.... احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض) (144) .

— (. . . ولله اخرجكم من بطون امهاتكـــم لا تعلمون شيئا) (145) .

— .. .. (146)

— وفي الاثر : — عن عائشة رضي الله عنها قالت ان قوما قالوا يا رسول الله ان قوما ياتوننا باللحم لا ندري اذكروا اسم الله عليه ام لا ، فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم سموا الله عليه وكلوه (147) .

— وفيه ايضا : — عن ابي هريرة رضي اللـــه عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار لا يكلمني ولا اكلمه .. (148)

.. .. (149)

— وفي الوحشيـــات :

تركناهم لا يستحلـــون بعدهـــا
لذي رحم يوما من الناس محرما(150)

— ولابـــي العتاهيـــة :

ايـــا دنيـــاي مـــا لـــي لا أراني
اسومـــك منـــزلا الا نبـــا بـــي
.. .. ..
ومـــا لـــي لا الـــح عليـــك الا
بعثت الهم لـــي من كـــل باب (151)

---

141) المرجع السابق 273 .
142) اسس التقدم 55 .
143) النســـاء 75 .
144) البقرة 273 . وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 115/1 .
145) النحـــل 78 .
146) انظر في نظائر هذا من التنزيل : البقرة 136 ، 162 ، 274 ، 17،آل عمران 87 ، 88 ، النساء 98 ، وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 204/1 ، النساء 75 ، وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 197/1 ، والمائدة 84 ، وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القـــرآن 242/1 ، والنمل 20 ، والصافات 25 ، وص 62، والحديد8، وانظر في اعتبار هذه المواضع الثلاثة الاخيرة احوالا : مشكل اعراب القرآن 235/2 ، 253/2 ، 254 ، 357/2 على الترتيب .
147) التجريد الصريح 129/1 .
148) المصدر السابق 131/1
149) انظر في امثلة (شواهد) اخرى : التجريد الصريح 16/1 ، 26 ، 29 .
150) 67 مع ترجيح الحال على المفعول الثاني !
151) المختارات السائرة 177 ، 178 .

— وفى البخلاء : « .. ضَمِنَت لي الخَلَف ، فانفقت على عِدَتِك ، وانا اليوم مذ كذا وكذا سنة انتظر مـا وعدتَ ، لا ارى منـه قليلا ولا كثيـرا » (152) .

— وعن الاغانى : فبقيت لا ادري اين اتوجـه ولا من اقصد (153) .

— وللمتنبـى :
فامسـك لا يُطـال لـه فيرعـى
ولا هو فى العليق ولا اللجـام (154)

— وللحاتمى : « فَعَبَر هُنَيْهة ثانيا عِطْفَه ، لا يعيرنى طرفـه » (155)

— وللبديع : « وبقيت وحدي ، لا اجد مـن يشـدّ يـدي » (156) .
: .. .. (157)

— وللمعـري :
من ساءه سببٌ اوهالـه عجـب
فلي ثمانون عاما لا ارى عجبا (158)

— ولأسامة بن منقـذ :
واسعـى الى الهيجاء لا ارهب الرّدى
ولا اتخشّى فارسـا ومهنّدا (159)
.. .. (160)

— ولشبلـي مـلاط :
وتلاحقـت اصحـاب رائع بعدهـا
لا تستقر على ربى ووهـاد (161)

— ولأديب اسحق : « فهلمّ ننشد الضالّـة ، ونطلب المنهوب ، لا نقوم فى ذلك بامر فئـة دون فئـة ، ولا نتعصّـب لمذهـب دون مذهب » (162) .

— ولحافـظ ابراهيـم :
عهدناك لا تبكى وتنكِـر ان يُـرَى
اخو البأس فى بعض المواطن باكيا (163)

— ولأحمـد امـين : « فمـا بالنا لا نثبتـه فى معاجمنا .. ؟ » (164)

— وله ايضا : « .. لأن الشاعر فيها يغنـى لنفسـه ، ويرضى عاطفة تجيش بصـدره لا يتطلب من اجل ذلك جزاء ولا شكورا» (165)
.. .. (166)

— وللزيات : « عاد حافظ كما كان يضطرب فى الحياة النابية المبهمة، لا يستريض لعمل، ولا يستقر على امر ، ولا يتشوق الـى غايـة (167) .
.. .. (168)

---

(152) 27
(153) المختـارات السائرة 273 .
(154) المختارات السائرة ص 149
(155) المرجع السابق ص 215
(156) شرح مقامات بديع الزمان ص 44 .
(157) انظر امثلة اخرى فى شرح مقامات البديع ص 145 ، 159 ، 177 .
(158) المختارات السائرة ص 187 .
(159) فيض الخاطر 99/10
(160) انظر مثالا آخر لاسامة فى فيض الخاطر 10 /99 ايضا .
(161) المختارات السائرة ص 71
(162) المرجع السابق ص 261 .
(163) المرجع نفسه ص 92 .
(164) فيض الخاطر 34/10
(165) المصدر السابق 70/10
(166) انظر فى امثلة اخرى لاحمد امين : فيـض الخاطر 72/10 ، 80
(167) المختارات السائرة ص 241
(168) انظر فى امثلة اخرى للزيات : المختارات السائرة ص 242 ، 241 .

— ولمارون عبود : « سنديانة من هـــذه السنديانات التـــى تفتح زنودها لمئـــات العصافير الزائرة لا تبخل على واحـــدة بخيمة ظل .. او سرير ورق اخضر » (169)

— ولمحمود شاكر : « ولكنى بقيت زمنا لا استطيع ان اتكلم » (170) .

— ولنجيب محفوظ : « .. وعدًا لا يلوي علـــى شـــىء » (171) .

وله ايضا : « ما بال الناس لا يريحـــون ولا يستريحون ؟ » (172) .

وله كذلك : « ثم مضى الى الازقة والحواري المحيطة بالجامع الكبير لا يفلت منه شحّـــاذ واحـــد » (173) .

.. .. (174)

— وللطيب صالح : « .. تنازل عن كل شىء ، لا يطلـــب لابنتـــه صداقـــا مقدمـــا ولا مؤخرا » (175)

.. .. (176)

— ولمظفر النـــواب :

يواجـــه ذئبيّـــة هـــذا العالـــم
لا يحمـــــل سكينـــــا (177)

.. .. (178)

— ولإميل حبيبى : « فافصح بالمقارنـــة .. لا استطع سوى ما تكرر » (179)

.. .. (180)

— ولفـــدوى طوقان :

وســـرت شيئا ميت الروح لا
ابحـــث عن شىء (181)

.. .. (182)

بل استقرت الحال على صور من الجملـــة الفعلية المنفية بـــ « لا » ، اتخذت هيئة الانمـــاط او الرواسم فى الاستعمال حتى غدا مستهجنا ان تقع الحال منها مثبتة . ومن امثلة هذه الظاهرة الخاصة :

— فى البخلاء : « .. رآه جبل واجما لا يحيـــر كلمـــة » (183)

— وفى زقاق المدق : « من العسير ان يعيش الانسان موزع النفس مضطرب الارادة لا يقر له قرار » (184) .

---

169) نقدات عابـــر ص 70
170) المتنبى 18/1 وانظر مثالا آخر له فى المصدر نفســـه 22/1 .
171) زقاق المدق ص 85 .
172) المصدر السابق ص 81 .
173) المصدر نفسه ص 51
174) انظر فى امثلة اخرى : زقاق المدق 64 ، 135 ، 136 ، 141 ، 96 ، 218 ، 235 ، 166 ، 147 ، 160 ، 236 ، 63 ، 45 ، 19 ، 92 ، 99 ، 135 ، 169 ، 212 .
175) بندرشاه ضو البيت ص 130 .
176) انظر امثلة اخرى فى المصدر نفسه 65 ، 3 — 134 .
177) وتريات ليلية ص 51
178) انظر امثلة اخرى فى الوتريـــات ص 89 ، 1 — 112 .
179) الوقائع الغريبة ص 95
180) انظر امثلة اخرى فى الوقائع ص 62 ، 68 ، 75 ، 177 ، 181 ، 141
181) وجدتها ص 104
182) انظر امثلة اخرى فى المصدر المتقدم 34 ، 109 — 110 ، 196 .
183) 39 . وَجَبل ، هنا ، عَلَم رجل ، وراى ، كما نرى ، بصرية .
184) 113

— وفيه ايضا : « جلس (..) جامدا ، رابط الجاش ، لا يبالى شيئا » (185) .

— وفيه كذلك : « وغادرت الشقة لا تعبأ شيئا فى الوجود » (186)
.. .. (187) .

— 12 —

تقع الحال جملة فعلية منفية بـ « لا » ، رابطها الواو (188) .

ومن ذلك :

— عن الاغانى : « .. ونزلت من السرير ولا ادري اين اقصد .. » (189) .

— ولمارون عبود : « شَقَّ عَلَيَّ كثيرا ان تذهب ولا اودعك ، ولا القي نظرة على تابوت المهد » (190) .

— ولنجيب محفوظ : « .. الواحد منا يشتري حُقّ (الفازلين) ولا يدري ايكون لشعره أو لشعر ورثته » (191) .

— ولفدوى طوقان :

وقلت : نسيتِ هواي
عرفت هناك سواي
تمرّ دهور ولا تكتبين
ولا تسألين (192)

— ولإميل حبيبى : « فما بالى اظل قاعدا على هذا الخازوق ، تحزمنى البردية ثم تنشرنى لاستر ولا ظهر ولا انيس ، ولا انزل ؟» (193)
.. .. (194) .

— 13 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ « مـا » ، رابطها الضمير .

ومن ذلك :

— فى الاثر : « .. كنت اصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أَحْرِم عنها .. » (195) .

---

185) 188.
186) 135
187) انظر امثلة اخرى لهذه الظاهرة فى زقاق المدق : ص : 19 ، 85 ، 92 ، 218
188) تقدم أن فى هذه المسألة خلافا بين النحويين ،اذ كان منهم من تمسك بان الواو تمتنع هنا وان هذه الامثلة مؤولة على حذف المبتدا . ويتنازعنا فى هذه الامثلة خاطران ، يغرينا بالاول تواتر الامثلة على هذه الظاهرة بالواو وانه يستقيم لنا اعتبار الواو حالية بآية انه يمكن لنا ان نقيم « إذ » مقامها ولا نحتاج الى تقدير محذوف ، واذن تستوي لها قاعدة مستقلة خاصة كما اثبتنا فوق ، ويغرينا بالثانى أن افتراض مبتدأ محذوف يمثل مبدأ نظريا مستقيما يرد الظواهر المتعددة الى اصل متحد من جهة ويشير ضمنا الىان وقوع الحالجملةاسميةخبرها جملة فعلية منفية كان اصلا ثابتا عند النحويين.
189) المختارات السائرة ص 275
190) نقدات عابر ص 33
191) زقاق المدق ص 182
192) وجدتها ص : 93 .
193) الوقائع الغريبة ص 153
194) انظر مثالا آخر فى الوقائع الغريبة 121 ولا حاجة بنا الى ايراد شواهد النحويين على هذه المسألة؛ فقد تقدمت .
195) التجريد الصريح 62/1

— وفيه : « عن عائشة رضى الله عنها قالت : لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات فى مروطهن ثم يرجعن الى بيوتهن ما يعرفهن أحد » (196) .

— فى النثر الحديث : « طلعت (الميدنة) وأنا ابكى ما اعرف على ايش ولأيش » (197) .

— وفيه : « (صحيت) من النوم وانا ابكى الدموع الغزار ، ما اعرف لأيش وعلى ايش » (198) .

— 14 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ « ما » ، رابطها الضمير والواو (199) ، او الواو وحدها .

ومن ذلك :

— فى الاثر : « عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه فقال (!) إني لأُصلي بكم وما أريد الصلاة ، اصلى كيف رايت النبى صلى الله عليه وسلم يصلي » (200) .

— وفيه : « ... فرفع يديه وما نرى فى السماء قَزَعة..» (201) .

— وفيه : «..فرجعنا وما نرى فى السماء قزعة » (202) .

— وعن الاغانى : « فاصبحت يوما وما أملك إلا ثلاثة دراهم » (203) .

— ولابن زيدون :

وقد نكون وما يخشى تفرّقنا
فاليومَ نحن وما يُرْجَى تلاقينا (204)

— 15 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ « لم » رابطها الضمير حسب (205) ، ومن ذلك (206) :

---

196) المصدر السابق 39/1
197) بندرشاه ضو البيت 67
198) المصدر السابق 68
واضح أن استشهادنا بهذين النصين واضرابهما انما هو لأن تركيبهما النحوي يجري على مقاييس العربية ، لاهمّ ان تكون تُحَرَّف بعض الابنية او تاخذ بوجوه نَحْت غلبت عليها العامية .
199) وعلى هذا فلا وجه لقوله فى شرح الكافية 195/1 : « .. واذا انتفى المضارع بلفظ (ما) لم يدخله الواو .. »
200) التجريد الصريح 58/1
201) التجريد الصريح 72/1 .
202) المصدر السابق 127/1
203) المختارات السائرة ص 272
204) المرجع السابق ص 125
205) زعم ابن خروف أن المضارع المنفى بـ « لم » لابد فيه من الواو كان مع الضمير أوْلا ، ولعل ذلك لان نحو (لم يضرب) ماض معنى كضرب نكما ان (ضرب) لمناقضته الحال ظاهرا احتاج الى قد المقرّبة له من الحال لفظا او تقديرا كذلك لم يضرب يحتاج الى الواو التى هى علامة الحاليّة لمّا لم يصلح معه (قد) لان (قد) لتحقيق الحصول و (لم) للنفى . شرح الكافية 4/1 — 195 والهمع 246/1. ولعل هذا الاستقراء يقدم دليلا ومستأنسا فى تعضيد رأي من ردوا قول ابن خروف بالسماع .
206) ولا نعيد ما ورد من شواهد المسألة لدى النحويين .

ـ في الأثر : « .. مات لم يأكل من اجـــره شيئـا » (207) .

ـ وفيـه : « .. فما لهم لم يُدخِلوه فـــي البيت ؟ » (208) .

ـ ولسهم بن حنظلة الغنوي :

اعص العواذل وارم الناس عن عرض
بذي سبيب يقاسي لَيْلَه خببـــا
كالسِّمْع لم يَنْقُب البيطار مُرَّتَـه
ولم يَدِجْهُ ولم يَغْمِز له عَصَبـا (209)

ـ وللمرار الفقعسي :

وجـدت شِفـاء الهـموم الرحيـلَ
فصـرم الخـلاج ووشـك القضـاء
وإثـواؤك الهَـمَّ لـم تُمْضِـهِ
إذا ضافك الهَـمُّ اعنـي العناء (210)

ـ ولزُمَـر بن الحارث الكلابـيّ :

اتذهـب كَلْبٌ لَـمْ تَنَلْهـا رِماحُنـا
وتُتْرَك قتلى راهِطٍ هي ماهِيَـا (211)

ـ وللأخطـل :

شربنـا فمتنـا ميتـة جاهليّـة
مضى اهلها لم يعرفوا ما مُحَمَّدُ (212)

ـ وللجاحـظ : « .. وصوّبتُ اليها المسيـل فنحن الآن اذا اغتسلنا صار الماء اليها صافيا لـم يخالطه شـيء » (213)

ـ ولحافظ ابراهيم :

أيرغبـان عـن الحُسْنـى وبيبهما
تلك القرابة لم يُقْطَع لها سبب (214)

ـ ولخليـل مطران :

فتقـابلـوا يومـين لـم
يظهـر مـن الجيشين ظاهـر (215)

ـ ولابـي ماضـي :

ويزيـد في شوقـي اليهـا انّهـا
كالصوت لم يُسْفِـر ولم يتقنّع (216)

— 16 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفي بـ « لم » ، رابطها الضمير والواو ، او الواو وحدها . ومن ذلـك :

ـ في التنزيل : (أنّي يكون له الملك علينا ونحن احقّ بالملك منه ولم يُؤْتَ سعة من المال) (217)

ـ وفيه : (قالت ربّ انّى يكون لي وَلَدٌ ولـم يَمْسَسْني بشـر) (218) .

ـ وفي الأثر : « عن عمرو بن أُمَيّة رضي اللـه عنه انّه راى النبي صلى الله عليه وسلم يحتزّ مـن كتف شاة فَدُعِي الى الصلاة فالقى السكين فصلّـى ولم يتوضّـأ » (219) .

---

207) التجريد الصريح 87/1
208) المصدر السابق 108/1 .
209) الوحشيات ص 32
210) الوحشيـات 53
211) المصدر السابق 50
212) المختـارات الشـائرة 136
213) البخلاء 29 . وصار ـ هنا ـ تامّة على ما هو واضح راجح
214) المختـارات الشـائرة 151
215) المصدر السابق 193 وقد جاء الرابط ضميرا ظاهرا ، كما هو ظاهر .
216) المصدر نفسه 188
217) البقـرة 247
218) آل عمـران 47
219) التجريد الصريح 27/1

— وفيه : « .. ثم قام الى المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ » (220) .

— ولعنتـــرة :

ولقـد خشيت بان أموت ولـم تكـن
للحرب دائرة على ابنـي ضمضـم
الشاتمـي عِرْضِي ولـم اشتمهما
والناذرين إذا لم القهمـا دمي (221)

— وللمرّار الفقعسـي :

هتكـت الـرّواق ولـم يُبَـرِدوا
وناديـتُ فانتبهـوا للنـداء (222)

— ولقيس بـن الملّـوح :

تعلّقـت ليلـى وهـي ذات مُؤَصَّـدٍ
ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حَجْمُ (223)

— ولطارق بن زياد (!) : « وإن امتدت بكـم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ، ذهبـت ريحكـم » (224) .

— ولأبـي تمـام :

ضـوء من النـار والظلماء عاكفـة
وظلمة من دخان في ضحـيً شَحِـب
فالشمس طالعـة من ذا وقد أفَلَـت
والشمس واجبة في ذا ولم تَجِبِ (225)

— وللمتنبـي :

وَزُلْتِ ولـم تَـرَيْ يومـا كريهـا
تُسَـرّ النفسُ فيه بالـزوال (226)

— وللبديع : « .. قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : .. مات ولم تظهر اسرار دفائنه ، ولم تُفْتَح اغلاق خزائنه » (227)

— ولمعروف الرصافي :

فاسمـع مقالة من اتـاك ولم يكـن
فيما يقـول مخادِعـا محتـالاً (228)

— ولأحمد امين : « ولم تبق امة حيّة على وجه الارض من غير ان يكون لها دائرة معارف بلغتها ، تسايرها مع الزمن ، وكلما تقـدم العلم والفن طبعتها طبعة جديدة تساير العلم والفن ، الا الشعوب العربية لأنها وقفت ولم تقم بهذا العمل .. » (229) .

— ولمارون عبّود : « متّ يا صاحبي ، ولم تشيّخ همّة ، ولم تلن عودا ، ولم تخر عزما» (230).

— 17 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفي بـ « لمّـا » ، رابطها الواو والضمير .
ومـن ذلـك :

— في التنزيل (231) : (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولمّا يأتكـم مثل الذين خلوا مـن قبلكـم) (232) .

— وفي شعر ابـي ماضي :

وحَطَمْتُ اقداحـي ولمّـا أرتـوي
وعففت عن زادي ولمّا اشبـع (233)

---

220) المصدر السابق 27/1 وانظر مثالا آخر مماثلا في المصدر نفسه 27/1 ايضا
221) المختارات السائرة ص 100
222) الوحشيات ص 56
223) اسرار العربية ص 190
224) المختـارات السائرة ص 257
225) المرجع السابق ص 55
226) المرجع نفسـه ص 81
227) شرح مقامات البديع ص 14
228) المختارات السائرة ص 195
229) فيض الخاطـر 80/10
230) نقـدات عابـر ص 33
231) ما استشهد به النحويون من قوله تعالى : ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله ، وقوله عز وجل : ام حسبتم ان تتركوا ولمّا يعلم اللـه. وانظر : شرح الاشمونى 259/1 والهمع 247/1 .
232) البقـرة 214
233) للختارات السائرة ص 189

— وفي قصص نجيب محفوظ : « .. وخاطب نفسه ولمّا يُفِقْ من ذهوله .. » (234)
وفيه أيضا : « وكان حسين كرشة بمجلسه يكرع من النبيذ الاحمر ولمّا تلعب الخمر برأسه » (235) .

ولعله يُسَوِّغ لي هذا الاتساع — (لا الاستيعاب فاني استطت الاشارة الى شطر من الشواهد والامثلة الى الحواشي) — في التمثيل اننى اقصد الى اثبات الظاهرة من جهة ، وانّ عرضها على هذا النحو التقريري المباشر يقدم بيانات اضافية عن صورتها لا تتهيأ بما في كتب النحويين وحده ، وقد وجدت ، مثلا ، انه :

— 18 —

تقع الحال شبه جملة منفية (236)
ومن ذلك :

— في التنزيل : (.. مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) (237) .

— وفي عبارة محمود شاكر : « ثم انطلق في كتابه هذا مستخفا بكل شيء ، بلا حذر » (238) .

— ولبطرس البستاني : « لا تَهِجْ ايها الدم العربي ولا تَفْتَظْ من الحق عندما تسمع واحدا مشتركا فيك يبين لك حقيقة حالك لا على سبيل التقريع والطّعن .. » (239) .

— ولنجيب محفوظ : « .. وقال وكرّر القول — بداع وبلا داع — ان اسبابها قد انقطعت الى الابد » (240) .

— وله أيضا : « يناضل .. بلا معين ولا نصير » (241) و « سألته على غير وعي منها » (242) .

— ولفدوى طوقان :
وعاد كلاهما يطفو ، يدور بلا رجاء
متغرّبا حيران .. .. (243)

من مظاهر اصالة النفي في الحال

— 1 —

ويكشف لنا الاستقراء ان الحال تاتي منفية في جمل متفرعة او متحولة ، وهي جمل دخلها النفي مع عوامل الرفع والنصب مثل كاد وكأن . وهذه الصور الفرعية المنفية دلائل على ان الحال المنفية ظاهرة

---

234) زقاق المدق ص 197
235) المصدر السابق ص 232
236) وهو ما لا نجد النحويين يثبتونه صراحة ، ولكنه يستفاد من كلامهم ضمنا ، مُحصّل بتقريراتهم المتوافية في نسيج كتبهم . وذلك ان شبه الجملة ، من وجه ، يقع عندهم حالا . في اوضح المسالك (101/2) : « تقع الحال .. ظرفا كـ « رأيت الهلال بين السحاب » ، وجارا ومجرورا نحو (خرج على قومه في زينته) ويتعلقان بمستقر او استقر محذوفين وجوبا » . فاذا قدر احد ان شبه الجملة مقصود به وضعٌ إثباتي دَفَعَه ، من وجه آخر ، انهم جعلوا « من اقسام (لا) النافية المعترضة بين الخافض والمخفوض ، نحو « جئت بلا زاد » و « غضبت من لا شيء » .. » المغني 270 .
237) النساء 142 ، 143 .
238) المتنبي 40/1
239) المختارات السائرة 7 — 228
240) زقاق المدق 232
241) المصدر السابق 55
242) المصدر نفسه 73 ، وانظر امثلة اخري في زقاق المدق 22 ، 33 ، 74 ، 75 ، 77 ، 80 ، 100 ، 135 ، 141 ، 169 ، 172 ، 181 ، 183 ، 188 ، 194 ، 196 ، 219 ، 224 ، 230 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 (243) وجدتها ص 142 .

نامية ذات امتداد . وواضح فى ضوء التحليل أن جمل الحال المنفية فى الشواهد والامثلة التالية ترتد بعد اطراح النواسخ الى جمل منفية بسيطة : اسمية او فعلية ، ومن امثلة هذه الظاهرة ذات الدلالة الاضافية الخاصة :

— فى التنزيل : (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟) (244)

— وفى مقامات البديع : « .. ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم » (245)

— وفى زقاق المدق : « .. اهمله وكأنه لم يعد يشعر له بوجود » (246)

— وفى نقدات عابر : « .. تركته (..) وكأنها لم تفعل .. » (247) .

— وللطيب صالح : « ذهب محجوب كأنه لم يسمع » (248) .

— ولفدوى طوقان :

ويمضى (249) كما
كان ، كأن لم تثنه محنة (250)

— 2 —

وتقع الحال مشتبهة بالخبر والصفة ؛ ذلك انها تستعمل على انحاء تحتمل الحال والخبر حينا، وتحتمل الحال والصفة حينا آخر . وهذا يؤيد ما لحظته النحويون من الشبه بين الحال والخبر والنعت من وجوه أخرى (251) . ولكنه ، هنا ، ذو اهمية استدلالية خاصة ؛ لان الحال المشتبهة بالخبر ؛ والحال المشتبهة بالصفة جاءتا نفيا ، فاذا كان ذلك كذلك دل على ان نفى الحال مثل نفى الخبر ونفى الصفة وليس النفى فى الخبر والصفة بمحل إنكار !

فمن وقوع الحال منفية مشتبهة بخبر منفى :

— ما روي « عن جابر رضى الله عنه قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وانا مريض **لا اعقل** فتوضأ وصب عَلَيَّ من وضوئه فعقلت » (252).

— وما روي « عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما انا قاسم والله عز وجل يعطى . ولن تزال هذه الامة قائمة على امر الله **لا يضرهم** من خالفهم حتى يأتى امر الله » (253)

ومن وقوع الحال منفية مشتبهة بصفة منفية :

---

244) النساء 78
245) شرح مقامات بديع الزمان ص 11
246) ص 203 ، وانظر امثلة اخرى فى زقاق المدق : ص 237 ، 89،8 ، 133 ، 174 ، 183 ، 193 ، 219 ، 172
247) ص 62
248) بندرشاه ضو البيت ص 13
249) الغصن وفقا للسياق
250) وجدتها ص 38
251) انظر : كتاب سيبويه (هارون) 49/2 والمقتضب 261/3 واوضح المسالك 96/2 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 464/1 .
252) التجريد الصريح 26/1
253) المصدر السابق 16/1

— قوله تعالى : (لابثين فيها احقابا ، **لا يذوقون** فيها بردا ولا شرابا) (254) .

— وفى الاثر : (.. مَنْ توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلّى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفِر له ما تقدم من ذنبه) (255)

— وفيه : (عن ابى سعيد الخدريّ رضى الله عنه انه قال : نَهَى النبى صلى الله عليه وسلم عن اشتمال الصّماء وان يحتبى الرجل فى ثوب واحد ليس على فرجه منه شىء) (256) .

— وفيه : (عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قلنا للنبى صلى الله عليه وسلم إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يَقْرونا ..) (257)

— 3 —

ومن مظاهر اصالة النفى فى الحال انها تتخذ صيغا ظاهرها النفى ولكنها استحالت انماطا ثابتة دلالتها الايجاب . ومن ذلك وقوع جملة (لا تلوي) (258) حالا على سعة وكثرة ، كما تقدم فى وقوع الجملة الفعلية المنفية بـ (لا) حالا . ومنه وقوع جملة (ما زال) حالا ، كما فى :

— مرّ عامان وما زال الهوى حلما غريبا (259)

— « فنظرت الى تحت ، فرايت الشاب المتلبط الجريدة ، وما زال يحمل فاسه » (260) .

ولعل من هذا الباب ، فى دلالته على اصالة النفى فى الحال وامتداداته وتغلغله ، وقوعَ جملة النفى المنتقض نفيها بإلاّ حالا ، وذلك كما فى :

— (.. خرج فى سبيله لا يُخْرِجُهُ إلاّ إيمانٌ بي وتصديق برسلي ..) (261) .

— (عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا لا نرى إلاّ الحجّ ..) (262) .

— « ثم جاء الخلف فزادوا هذه البحور شيئا فشيئا لا يهديهم فى الابتكار إلا الاذن الموسيقية » (263) .

— « تركته معلّقا بحبال الهواء لم تدع له الا رسالة من ثلاثة اسطر ..) (264) .

— وسنبقى هناك نمشى ولا نعلم الا شيئا يحسّه قلبانا (265)

ولعل من هذا ايضا ما ارى من وقوع الحال منفية مسبوقة بشرط ؛ فاني ارى فيما يلى جملا حالية :

— (.. ذكروا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم وان لم تكونوا جُنُباً ..) (266) .

---

254) النبا 3 — 24 . وانظر فى احتمال (لا يذوقون) الحال من ضمير (لابثين) والنعت لـ (احقاب) : مشكل اعراب القرآن 451/2

255) التجريد الصريح 24/1

256) المصدر السابق 38/1

257) المصدر نفسه 149/1

258) انظر فى بعض امثلتها تذكرة : زقاق المدق ص 19 ، 85 ، 92 ، 218

259) وجدتها ص 173

260) الوقائع الغريبة ص 205

261) التجريد الصريح 11/1

262) المصدر السابق 31/1

263) فيض الخاطر 23/10 ، وانظر مثله فى المرجع نفسه 90/10

264) نقدات عابر ص 58

265) وجدتها ص 52.

266) التجريد الصريح 70/1

— أَوْلي وفاءً وإنْ لم تبذلي صلةً .. .. (267)

— « .. ومن اجل هذا امكن الأديب اذا عُرِض عليه نَوْع من الادب ، ان يعرف عصره ولو لم يعرف قائله .. » (268)

وارى حرف الشرط (إن ، لو) يفيد فى الحال المنفية معنى إضافيًا .

امّا مَنْع النحويين لوقوع أداة الشرط فى جملة الحال (269) فاغلب الظن أن مرجعه الى اعتبارهم اداة الشرط دليل استقبال يغاير زمانُها زمنَ عامل الحال ولا يجري معه . والحق انّ ملحظ الزمان ليس مطلقا فى العربية ؛ ذلك انه يتعين وفقا للملابسات والقرائن التى تكتنف الفعل وعبارته (270) .

ولعل مما يؤيد القول بالحاليّة فى الجمل المتقدمة انّ ابناء العربية يسيغون الجمل التالية ، كل جملتين على حدّ سواء (271) :

1 — هل يَحْضُر (...) ولم يُدْعَ ؟

2 — هل يَحْضُر (...) وإن لم يُدْعَ ؟

*

3 — سيتخرّج (...) هذا العامَ ولم يبلغ العشرين .

4 — سيتخرّج (...) هذا العام وان لم يبلغ العشرين .

ويلحظون الحاليّة فى الاولى والثالثة ، ويلحظون الحاليّة مع معنى إضافي فى الثانية والرابعة .

وإخال ما تقدم ، على مستوى القواعد والسماع والاستعمال ، ينهض دليلا ثابتا على انّ الحال ، فى العربية ، تقع منفية بغلبة ظاهرة .

ولكنه يبدو لي ايضا ، على مستوى النظر ، انّ مجيء الحال منفية ظاهرةً نحوية شانها شان سائر الظواهر النحوية فى انها تنضبط باصول . ويبدو لي ، فى ضوء التحليل ، انّ اهمّ الاصول التى تنضبط بها هذه الظاهرة اصلان : اولهما عاملُ الحال وخاصة دلالتَه وَوَجْهَ العلاقة بينها وبين دلالة الحال ؛ هل تجريان معا على وجه الايجاب ام على وجه السلب ام بين بين . والثانى : السياق ، سياق الجملة فى النصّ او فى الموقف الكلاميّ .

فمن امثلة الاصل الاول أنّنا نقول :

— لبث حينا يتكلّم

— لبث حينا لا يتكلّم

على مستوى واحد من القبول لجريان دلالة (اللبث) مع حال التكلم وعدمه. وكذلك نقول :

— ما بال اخيك يهادن كلّ احد ؟

— ما بال اخيك لا يهادن احدا ؟

على مستوى واحد من الصواب السائغ ؛ لجريان هذا الضرب من السؤال مع التعميم نفيا واثباتا .

ونقول :

— صافحته يبكي

ثم نستبدل بالفعل (عهدته) فنقول :

— عهدته لا يبكي

---

267) المختارات السائرة ص 126 ، وهو صدر بيت لابن زيدون

268) فيض الخاطر 2/10

269) انظر فى هذا : النحو الوافى لعباس حسن 311/2

270) وانظر فى هذا : الفعل زمانه وابنيته لابراهيم السامرائى 34 ، 52

271) ويمكن لابناء العربية ، بيسر السليقة ، ان يستظهروا لكل من هذه الجمل سياقا مخصوصا مناسبا .

فتكون الجملتان سواء فى الاستقامة على مقاييس العربية ؛ نظرا لاختلاف الفعل من تلك الجهة، جهة الدلالة وانسجامها بين الفعل والحال .

وعلى هذا يسوغ لنا ان نقول على حد سواء فى القبول :

— عاش حياته يقدر على كل ما يريد .
— سقط على الارض لا يقدر على الحركة .

فاذا بدا لبعض الناس ان جملة (جاء — لا يبكى) على هذا النحو المجرد تجعل الحال المنفية كأنها لا تنطوي على اية فائدة فلا يسوغ فيها وقوع الحال نفيا ، فانه يبدو لنا أن الاتساع بهذه الجملة الى سياق مخصوص يجعلها صحيحة تماما ، مفيدة فائدة تامة ، مقبولة بلا تحفظ . فمثلا : اذا كان الابوان فى معرض الحديث عن ولدهما ، اول عهده بالمدرسة وانه كان يعود منها باكيا فى كل مرة ، وقال احدهما فى معرض المراجعة والتذكر : هل حدث انه عاد يوما من المدرسة لا يبكى ؟ كان وقوع الحال نفيا فى جملته من هذا السياق هو الوجه ، عربيّا جيّدا .

ومن امثلة هذا الاصل الثاني ، السياق ، اننا نقول فى موقف معين :

— ثم عاش (..) ، سائر عمره ، يسمع انتقادات الناس لحكمه فلا يحير جوابا .

ونقول ، فى سياق آخر يسهل تصوره :

— وعاش (..) بينهم لا يسمع إشارة الى ما فرط منه البتة . وكذلك نقول على تعاقب سياقين :

— ثم اقامت (..) بعد ذلك دهرا تبكي إخوتها .
— واقامت (..) فيهم لا تبكي ، تجلدا واقتناصا للخبر عن القاتل .

ونقول ايضا :

— اقام (..) فيهم يسأل عن كل صغيرة وكبيرة.
— اقام (..) فيهم لا يسأل عن شيء .

بل إنه — فى نطاق بعض التراكيب النمطية — يعانى الاثبات ما يعانى النفى من التحفظ عليه وعدم إساغته فى جمل محدودة موضوعة على التحكّم خارج سياق كامل . فمن ذلك اننا نقول :

— دخل البيت يجر رجليه
مقبولا مستساغا ، فاذا قلنا :
— دخل البيت لا يجر رجليه
كان ذلك — بهذا الاقتضاب — كالاخبار بما لا داعى له ولا فائدة منه . لكننا نقول بازاء ذلك :
— دخل البيت لا يقوى على التقاط انفاسه ، سائغا مقبولا ، فاذا قلنا :
— دخل البيت يقوي على التقاط انفاسه ، كان كمثل تحصيل الحاصل فضولا مستقبحا مرذولا .

وقد اجتهدت ان امتحن قياسية وقوع الحال نفيا ، فاتخذت طائفة من الافعال تتراوح بين افعال الحسّ (تذوّق ، استمع ، نظر ، تحسّس ، شمّ) وافعال العلاج فى اتجاهات مختلفة (رفع ، خفض ، وقف ، سار ، انحنى) وافعال العلاج فى الصنائع (حرث ، زرع ، نسج) ، وتستوعب امثلة من الفعل ماضيا مجردا (نظر ، شم ، رفع، خفض..الخ) ومزيدا (انلس ، قوض ، اندفع ، انتهز ، استقبل) ومضارعا مجرّدا (يلعن ، يأمن) ومزيدا (يُسَلِّم ، ينطلق ، يستأذن ، يتساءل) . وأقمتُ على هذه الافعال جملا جهدت أن اضمّنها الحال مفردة وجملة وشبه جملة على وجهي الاثبات والنفي فى كل ، وفقا لما تهدي اليه قواعد النحو ، ومعطيات السليقة العربية والف الاستعمال الجاري ، فاستوى لي من ذلك الجمل التالية :

1) — تذوّق (..) الطعامَ يقصد الى انتقاد طابخه
— تذوّق (..) الطعامَ لا يقصد الى انتقاد طابخه
— تذوّق (..) الطعام كلفا بنه
— تذوّق (..) الطعام لا كلفا به
— تذوّق (..) الطعام بشهية
— تذوّق (..) الطعام بلا شهية

2) — استمع (..) الى المعزوفة وهو يعرف انها مسروقة
— استمع (..) الى المعزوفة وهو لا يعرف انها مسروقة
— استمع (..) الى المعزوفة مستغرقا
— استمع (..) الى المعزوفة غير مستغرق
— استمع (..) الى المعزوفة بتنبّه
— استمع (..) الى المعزوفة بلا تنبّه

— نظر (٠٠) اليه وقد اقتحم الباب
— نظر (٠٠) اليه ولمّا يقتحم الباب
— نظر (٠٠) اليه باستخفاف
— نظر (٠٠) اليه بغير استخفاف
— نظر (٠٠) اليه متسائلا
— نظر (٠٠) اليه لا متسائلا ، بل مستجيبا

4) — تحسّس (٠٠) جسمه متألّما
— تحسّس (٠٠) جسمه لا متألّما بل متفقّداً موضع الاصابة .
— تحسّس (٠٠) جسمه يعرف ان به إصابة بليغة
— تحسّس (٠٠) جسمه لا يعرف انّ به إصابة بليغة
— تحسّس (٠٠) جسمه بتراخٍ
— تحسّس (٠٠) جسمه بلا تراخٍ

5) — شمّ (٠٠) البرتقالة مغتبطا
— شمّ (٠٠) البرتقالة لا مغتبطا بل محزونا
— شمّ (٠٠) البرتقالة يعرف انها خرجت من ارضه
— شمّ (٠٠) البرتقالة لا يعرف انها خرجت من ارضه
— شمّ (٠٠) البرتقالة بسعادة
— شمّ (٠٠) البرتقالة بلا سعادة

6) — رفع (٠٠) يده يعني انّ هذه الحركة تجمل خصمه يجفل .
— رفع (٠٠) يده لا يعني انّ هذه الحركة تجمل خصمه يجفل .
— رفع (٠٠) يده غاضبا
— رفع (٠٠) يده لا غاضبا ولا محيّيا
— رفع (٠٠) يده بعصبيّة
— رفع (٠٠) يده بلا عصبيّة

7) — خفض (٠٠) بصره مستحييا
— خفض (٠٠) بصره لا مستحييا بل خجلا
— خفّض (٠٠) بصره يفكّر في شيء
— خفض (٠٠) بصره لا يفكر في شيء
— خفض (٠٠) بصره واذناه تسمعان
— خفض (٠٠) بصره واذناه لا تسمعان
— خفض (٠٠) بصره باستحياء
— خفض (٠٠) بصره بلا استحياء

8) — وقف (٠٠) يتلفّت
— وقف (٠٠) لا يتلفّت
— وقف (٠٠) متحديا
— وقف (٠٠) لا متحديا بل ملتمسا شيئا من الراحة
— وقف (٠٠) في دهشة
— وقف (٠٠) في غير دهشة

9) — سار (٠٠) متمهّلا
— سار (٠٠) لا متمهّلا بل مفذّا
— سار (٠٠) يقصد التمرين
— سار (٠٠٠) لا يقصد التمرين
— سار (٠٠) وقد توقّفت السيّارات
— سار (٠٠) ولمّا تتوقّف السيّارات

10) — انحنى (٠٠) متواضعا
— انحنى (٠٠) لا متواضعا بل مهتبلا فرصة غدر
— انحنى (٠٠) يقصد الاعتذار
— انحنى (٠٠) لا يقصد الاعتذار
— انحنى (٠٠) بادب
— انحنى (٠٠) بلا ادب

11) — حرث (٠٠) ارضه وهو يؤمّل ان ياكل من ثمرها
— حرث (٠٠) أرضه وهو لا يؤمّل ان ياكل من ثمرها
— حرث (٠٠) ارضه بامل
— حرث (٠٠) ارضه بلا أمل
— حرث (٠٠) أرضه مستمتعا
— حرث (٠٠) ارضه لا مستمتعا بل ملتزما بحقّها عليه

12) — زرع (٠٠) ارضه مُستَنتِجَها
— زرع (٠٠) ارضه لا مستنتجها بل مُستمتعا بزرعها
— زرع (٠٠) ارضه ينتظر المطر
— زرع (٠٠) ارضه لا ينتظر المطر
— زرع (٠٠) أرضه بعناية
— زرع (٠٠) ارضه بلا عناية

13) — نسج (٠٠) الثوب مهتمّا بإتقانه
— نسج (٠٠) الثوب لا مهتمّا بإتقانه بل معنيا بسرعة إنجازه

— نسج (٠٠) الثوب يلتفت يمنة ويسرة
— نسج (٠٠) الثوب لم يلتفت يمنة او يسرة
— نسج (٠٠) الثوب باصول
— نسج (٠٠) الثوب بلا اصول

14) — افلس (٠٠) يائسا
— افلس (٠٠) لا يائسا بل متحفّزاً لِتدارُكِ ما فَرَطَ منه
— افلس (٠٠) وهو يدرك اسباب إفلاسه بوضوح
— افلس (٠٠) وهو لا يدرك اسباب إفلاسه بوضوح
— افلس (٠٠) بكرامة
— افلس (٠٠) بلا كرامة

15) — قوّض (٠٠) أركان النظرية يلتمس نظرية اشمل
— قوّض (٠٠) اركانَ النظرية لا يلتمس نظرية اشمل ٠٠
— قوّض (٠٠) أركان النظرية قاصدا الى الهدم
— قوّض (٠٠) اركانَ النظرية لا قاصدا الى الهدم
— قوّض (٠٠) أركان النظرية فى رفق
— قوّض (٠٠) أركان النظرية فى غير رفق

16) — اندفع (٠٠) متهوّرا
— اندفع (٠٠) لا متهوّرا
— اندفع (٠٠) يطمع أن يظفر بشىء
— اندفع (٠٠) لا يطمع أن يظفر بشىء
— اندفع (٠٠) بتمكّن
— اندفع (٠٠) بلا تمكّن

17) — انتهز (٠٠) الفرصة مستغلاً
— انتهز (٠٠) الفرصة لا مستغلاً بل مجتهدا مستقيما
— انتهز (٠٠) الفرصة يردّ حقّا لمظلوم
— انتهز (٠٠) الفرصة لا يردّ حقّا لمظلوم
— انتهز (٠٠) الفرصة على نيّة خبيثة
— انتهز (٠٠) الفرصة على غير نيّة خبيثة

18) — استقبل (٠٠) ضيفه فاترا متثاقلا ٠
— استقبل (٠٠) ضيفه لا فاترا ولا متثاقلا
— استقبل (٠٠) ضيفه بفتور وتثاقل ٠
— استقبل (٠٠) ضيفه بلا فتور ولا تثاقل
— استقبل (٠٠) ضيفه بجامله
— استقبل (٠٠) ضيفه لم يجامله
— استقبل (٠٠) ضيفه على محيّاه مسحة من كآبة
— استقبل (٠٠) ضيفه ليس على محيّاه مسحة من كآبة

19) — يلعن (٠٠) الدنيا كارها لها
— يلعن (٠٠) الدنيا لا كارها لها بل مستزيدا ٠٠
— يلعن (٠٠) الدنيا يلتمس لديها حظّاً اوفر ٠٠
— يلعن (٠٠) الدنيا لا يلتمس لديها حظّاً اوفر بل يَنْتَقِمُ منها ماجَرّت به عليه ٠
— يلعن (٠٠) الدنيا وقد ابتلى بِحَدَثانِها
— يلعن (٠٠) الدنيا ولم يبتل بحدثانها

20) — يامن (٠٠) الدنيا غافلا
— يامن (٠٠) الدنيا لا غافلا بل مسلّما لنواميسها
— يامن (٠٠) الدنيا وهو فى اهله وولده ٠
— يامن (٠٠) الدنيا وليس فى اهله وولده
— يامن (٠٠) الدنيا عن عقيدة
— يامن (٠٠) الدنيا عن غير عقيدة ٠

21) — يُسَلِّمُ (٠٠) على انداده مستعليا
— يُسَلِّمُ (٠٠) على انداده لا مستعليا بل جاريا على عادته
— يسلّم (٠٠) على انداده وهو يعرف اثر طريقته فى السلام فى انفسهم ٠
— يسلّم (٠٠) على انداده وهو لا يعرف اثر طريقته فى السلام فى انفسهم
— يسلم (٠٠) على انداده بثقة
— يسلم (٠٠) على انداده بلا ثقة

22) — ينطلق (٠٠) الى غايته يتعثّر
— ينطلق (٠٠) الى غايته لا يتعثّر
— ينطلق (٠٠) الى غايته بخطّة محكمة يضعها
— ينطلق (٠٠) الى غايته بلا خطة محكمة يضعها
— ينطلق (٠٠) الى غايته جادّا
— ينطلق (٠٠) الى غايته غير جادّ

23) — يستاذن (...) فى الدخول متأدّبا
— يستاذن (٠٠) فى الدخول لا متأدّبا بل متهكّما
— يستاذن (٠٠) فى الدخول يتوقّع ان يؤذَن له
— يستاذن (٠٠) فى الدخول لا يتوقّع ان يؤذَن له

— يستأذن (··) فى الدخول بأدب
— يستأذن (··) فى الدخول بلا أدب .

24) — يتساءل (··) عن السبب متجاهلا
— يتساءل (··) عن السبب لا متجاهلا بل مستعلما
— يتساءل (··) عن السبب وهو يعرفه
— يتساءل (··) عن السبب وهو لا يعرفه
— يتساءل (··) عن السبب بوعي
— يتساءل (··) عن السبب بلا وعي

ولا شك انّ فى هذه الجمل الموضوعة تحكّما بقدر. ولا ريب انّ فى سياقاتها نَقْصاً من نوع ما . ولكنى ارجو ان تكون ، على العموم ، محلّ قبول لدى ابناء العربية . فاذا كان ذلك كذلك فانه يمكن لي ان اقرّر انّ وقوع الحال نفيا يشبه ان يكون قياسا ، لا يعترضه الا ما يعترض غيره من الاقيسة بين الممكن ، على مستوى النظر ، والمستعمل ، على صعيد الواقع ، وتلك هى الإشكالية التى لم تَعُدْ مشكلة !

وقد تكون الحال المنفيةُ لفظا كالبديل عن الحال المشتملة على النفي دلالةً . وذلك تعاقُبُ (نجهل) و (لا ندري) فى بيتي ندوى طوقان :

وسنمشي ونحن نجهل من يدفعنا
فى المدى وما سنلاقي
وسنمشي معا بعيدا ولا ندري
متى ينتهي الطريق الوثير (272)

وقد يعطف النفي على الاثبات ، فتقع الحال منفية معطوفة ، ومن ذلك :
— حديث انس رضى الله عنه : (فَالْقوا فى الحَرّة يَسْتَسقون فلا يُسْقَوْن) (273) .
— وقول البديع : « الا تعجبون ممّن ينامُ وهو يخشى الموت ، ولا يرجو الفوت » (274) .

— وفى الخبر عن كسرى انو شروان انه قيل له: « ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فيحتمله ولا يحتمل مجالسة الثقلاء ؟ .. » (275).
— وفى عبارة احمد امين : « وتعصّب قوم للقديم يذودون عنه ويحافظون عليه ، ولا يسمحون بأي تغيير فيه » (276) .

ومع ان النفى هنا يأتى عقب الاثبات ولا يأتى حالا ابتداء فانه يأتى قريع الاثبات من جهة ويصلح لأن يقع حالا من غير ان يتكىء على الاثبات . ويمكن لنا ان نمتحن ذلك باطّراح المثبت مما تقدم ، واذن تبقى النصوص هكذا : (ألقوا فى الحرّة .. لا يُسْقَوْن) (الا تعجبون ممّن ينام .. ولا يرجو الفوت) (ما بال الرجل .. لا يحتمل مجالسة الثقلاء ؟) (وتعصّب قوم للقديم .. لا يسمحون بأيّ تغيير فيه) .

وقد عَرَضَ التقابل بين الاثبات والنفى ، على مستوى الاستعمال الجاري فى العربية ، بصورة مطلقة وذلك فى مواضع اكتملت لها الشروط الدلالية والسياقية .

وتتخذ الحال فى هذه المواضع انحاء بختلفة ؛ فمنها انها جاءت جملة فعلية منفية بإزاء جملة فعلية مثبتة ، كما فى الحديث :

— (عن ابى ذرّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتاني آت من ربي فاخبرني ، او قال بشّرني **انه من مات من امّتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنّة** ، قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق) .
— (عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **من مات يشرك بالله شيئا دخل النار** ، وقلت انا : من **مات لا يشرك بالله شيئا دخل** الجنة) (277).

---

272) وجدتها ص 51
273) التجريد الصريح 28/1
274) شرح مقامات بديع الزمان ص 176
275) جريدة الدستور ، العدد 4314 ، ص 11
276) فيض الخاطر 1/10 وانظر مثل هذا ايضا فى المرجع نفسه 84/10
277) التجريد الصريح 85/1 — 86

— وفى القصص المعاصر : « ثم ارسلت بناظريها من خلال الخصاص ترى ولا تُرى » (278)

ووقع التقابل بين جملة فعلية مثبتة وجملة اسمية خبرها تلك الجملة الفعلية نفسها منفية ، وذلك :

— وفى كلام احمد امين : « .. إن شئت فوازن بين ما يدرسه الطالب فى المدارس الثانوية او العالية فى الادبين ، فهو فى الادب الغربى يدرس شكسبير وامثاله فيجد موضوعا شيقا (!!) يمثل حالة من الحالات التى تتصل بنفسه وتمس حياته الاجتماعية بقدرما، قد صيغت فى قالب فني رشيق ، فخرج من الدرس يحبّها ويحبّ موضوعها .

اما فى الادب العربى فيدرس مختارات من جرير والفرزدق والأخطل او مختارات من مقامات البديع والحريري او نحو ذلك ، وهذه كلها لا تمثل ناحية اجتماعية يحياها او ما يقرب منها ، ولا فكرة عميقة حللت تحليلا (279) واسعا ، لذلك يخرج منها وهو لا يحبّها او على الاقل يكون على الحياد منها » (279) .

وجاءت الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية منفية بازاء جملة اسمية خبرها جملة فعلية مثبتة على لتماثل وإمكان التبادل ، وذلك :

— « وكان يتفحّصها بنظر ثاقب ، فايقن انها تجاذبه الحديث وهى لا تدري ، أو وهى تدري » (280) .

وجاءت شبه جملة على الاثبات والنفي مما ، وذلك :

— « .. وقال وكرّر القول — بداع وبلا داع — إنّ اسبابهما قد انقطعت الى الابد » (281).

ويخيل إلي أن النفى والاثبات ، من جهة وقوعهما حالا ، سيّان ؛ ذلك انهما يخضعان لمثل الشروط المتقدمة. ولعل مما يؤيد أن الاثبات كالنفى ، فى الحال ، اننا لو رجعنا الى الامثلة التى وقعت فيها الحال منفية ورددناها الى الاثبات ، على وجه التحكّم، لوجدنا الاثبات فى كثير منها مستهجنا .

ومن امثلة ذلك ، وهى امثلة نستخرجها مما تقدم ونسوقها على وجه المقابلة :

1) النفي : « تطع حافظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيمي لا يدخل فى نظام ، ولا يصبر على جهد .. » (282) .

*) الإثبات : « تطع حافظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيمي .. يدخل فى نظام .. »

2) النفي : « كان يزرع محاصيل الشتاء فى الصيف والشتاء يعمل على مدار العام لا يكلّ ولا يفتر » (283) .

*) الإثبات : « كان يزرع محاصيل الشتاء فى الصيف والشتاء يعمل على مدار العام . يكلّ .. »

3) النفى : « اندفعت ففتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها ، ويدي بيد يعاد لا اتركها » (284)

*) الاثبات : « اندفعت ففتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها ، ويدي بيد يعاد .. اتركها »

4) النفى : ولكن طيفك كان يغيب
وراء المدى صامتا لا يجيب (285)

*) الاثبات : ولكن طيفك كان يغيب
وراء المدى صامتا .. يجيب

---

278) زقاق المدق ص 137
279) فيض الخاطر 15/10
280) زقاق المدق 140
281) زقاق المدق 232
282) المختارات السائرة 242
283) بندرشاه ضو البيت 134
284) الوقائع الغريبة 181
285) وجدتها 34

5) النفي : « تفتح زنودها لمئات العصافير الزائرة لا تبخل على واحدة بخيمة ظلّ .. أو سرير ورق أخضر » (286)

*) الاثبات : « تفتح زنودها لمئات العصافير الزائرة .. تبخل على واحدة بخيمة ظل .. أو سرير ورق أخضر ».

وهذا غيض من فيض ، نجتزىء به مجانبة للتكثر والاطالة .

خاتمة :

وربما يظهر للقارىء العربى ، وقد فرغ من عرض القضية ووقف على أمثلتها فى الاستعمال ، أن المسألة ، مسألة وقوع الحال نفيا ، مفروغ منها ، وان التحقيق فيها من لزوم ما لا يلزم . ولكن الحق أن المسألة تبدو للخاطر الاول وفى حدود ضيقة من التحكم ، على وجه المقابلة ، قابلة لرجع النظر تحقيقا .

وهكذا تتبدد الدهشة العابرة التى تعتري السامع لملاحظة أن الحال لا تقع منفية فى قولنا : جاء .. لا يبكى ، حين نضعه على وجه التحكم بازاء : جاء .. يبكى ، أقول : تتبدد تلك الدهشة اذا نحن نظرنا الى ذلك القول فى سعة المتغيرات التى تلابسه فى موقف الاستعمال .

ويدفع هذه الدهشة بصورة حاسمة ما نعرف من أمر القياس فى العربية . وذلك أن الظاهرة قد تدخل فى حدّ الغلبة حتى يستوي لها قياس لا مراء فيه ولكن بعض أمثلتها يظل خارج دائرة الالف والسماع. ومن ذلك ، مثلا ، أن (مفعول) قياس فى اسم المفعول من الثلاثي ، ولكننا نُصاب بمثل تلك الدهشة من قول أحدهم : مجعول !

بل إنّ وقوع الحال مثبتة فى بعض الامثلة النمطية أو الموضوعة على وجه التحكم يبدو مستهجنا غير سائغ ، ويكون النفى هو الوجه كأنه لا وجه غيره ، وذلك فى مثل قولنا :

— صمد (..) لسيف الجلاّد لا يرفّ له جفن ؛

فلو أن أحدا جاء بجملة الحال على الاثبات ما استقام له ذلك بل كان استهجانُ الاثبات هنا أشدّ من النفي فى قولنا المقتضب : جاء لا يبكي .

ويبدو لنا من وجه مقابل فى طرح المسألة انه لو عرضنا امثلة الحال المنفية مما تقدم استقصاؤه فى النصوص واستطنا النفي منها لوجدنا مجيء الحال مثبتة فى كثير من تلك الامثلة مستهجنا تماما .

286) نقدات عابر 70

ثبت المصادر والمراجع

ا ــ في القواعد :

اسرار العربية ، لابن الانباري ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، دمشق 1377 ــ 1957 .

الاصول في النحو ، لابن السراج ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، النجف الاشرف 1973 .

الامالي الشجرية ، لابن الشجري ، حيدر آباد 1349

اوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة 1375 ــ 1956 .

بدائع الفوائد ، لابن قيّم الجوزيّة ، ادارة الطباعة المنيرية بمصر .

التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيز النجار ، القاهرة 1386 ــ 1966 .

خزانة الادب ، للبغدادي ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1349 هـ .

شرح الاشموني ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى 1375 ــ 1955 .

شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة الطبعة الثامنة 1380 ــ 1960

شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، الطبعة العاشرة 1381 ــ 1961

شرح الكافية ، للرضيّ الاستراباذي ، 1275 هـ

الفعل : زمانه وابنيته ، لابراهيم السامرائي ، بغداد 1386 ــ 1966 .

في النحو العربي (قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) ، لمهدي المخزومي ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1386 ــ 1966

كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، القاهرة 1966 ــ 1975 .

مذكرات في قواعد اللغة العربية ، لسعيد الافغاني ، الطبعة الثالثة ، مطبعة جامعة دمشق .

كتاب مشكل اعراب القرآن ، لمكي بن ابي طالب القيسي ، تحقيق ياسين السواس ، دمشق ، 1394 ــ 1974

مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، لابن هشام ، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، مراجعة سعيد الافغاني ، دار الفكر الحديث ــ لبنان .

المفصل ، للزمخشري ، طبعة (بروخ)

المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة 1385 ــ 1388 .

النحو الوافي ، لعباس حسن ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، 1963 .

همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، الطبعة الاولى 1327 هـ .

ب ــ في النصوص :

أحوال التربية والتعليم في الاراضي المحتلة ، اعداد بكر تنيرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة 1973 .

القـــرآن الكريـــم :

المتنبي ، السفر الاول ، لمحمود محمد شاكر ، القاهرة ، (بلا تاريخ ، لهذا النشر الثاني ، صريح).

المختارات السائرة ، جمعها انيس الخوري المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة 1955 .

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضع محمد فؤاد عبد الباقي ، مطابع الشعب ، القاهرة ، 1378 .

نقدات عابر ، لمارون عبود ، دار الثقافة ، بيروت 1959 .

وترنيات ليلية ، الحركة الاولى والثانية 1970 — 1975 ، لمظفر النواب ، الطبعة الثانية .

وجدتها ، لفدوى طوقان، منشورات دار الآداب ، بيروت 1959 .

كتاب الوحشيات ، لابي تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر ، دار المعارف، القاهرة 1963 .

الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل ، لاميل حبيبي ، الطبعة الثالثة ، منشورات صلاح الدين ، القدس 1977 .

اسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث ، لنهمي جدعان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1979 .

البخلاء ، **للجاحظ** ، تحقيق طه الحاجري ، دار المعارف بمصر 1958 .

بندر شاه ضو البيت ، للطيب صالح ، دار العودة ، بيروت 1971

التحبير الصريح لاحاديث الجامع الصحيح ، للحسين بن المبارك ، الجزء الاول ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

جريدة الدستور ، العدد 4314 ، عمان — الاردن ، الخميس 16 — 9 — 1399 ، 9 — 8 — 1979 .

زقاق المدق ، لنجيب محفوظ ، دار القلم ، بيروت ، لبنان 1972 .

السيدة صاحبة الكلب ، لانطون تشيخوف ، ترجمة ابو بكر يوسف ، دار التقدم ، موسكو 1978 .

شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ، لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1381 — 1962 .

فيض الخاطر ، الجزء العاشر : نيف ومائة صفحة منه ، لاحمد امين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1956 .